دراسة نقدية تحليلية لمناهج البحث التاريخي لدى مؤرخي المدينة في القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي

دكتور / عبد الفتاح فتحي عبد الفتاح

أستاذ مساعد التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية

كلية دار العلوم - جامعة القاهرة

تقديم:

انتهينا- في بحث سابق- من تناول مؤرخي المدينة في القرن الأول الهجري[1]. وفي هذا البحث الجديد نتناول هذه المدرسة في طور نموها وازدهارها عن طريق الدراسة الموسعة لأبرز مؤرخيها في القرن الثاني الهجري، وهؤلاء المؤرخون هم:

أولاً: محمد بن شهاب الزهري . ثانيًا: موسى بن عقبة المدني .

ثالثًا: محمد بن إسحاق المدني . رابعًا: محمد بن عمر الواقدي .

ويلاحظ أننا أمام مجموعة من المؤرخين النابهين، الذين يتميزون عن مؤرخي فترة النشأة بغزارة المادة التاريخية المنقولة عنهم، والموجودة بين أيدينا، لاسيما أن هناك دلائل أكيدة تشير إلى وجود مؤلفات ضائعة لعدد منهم (مثل: موسى بن عقبة، وابن إسحاق).

يضاف - إلى ما تقدم- أن آخرهم- وهو الواقدي- احتفظت لنا الأيام

---

(١) نشر هذا البحث في مجلة (المؤرخ العربي) الصادرة عن (اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة) في العدد الثالث عشر- المجلد الأول، مارس ٢٠٠٥م (ص٣١ - ٦٥).

ببعض مؤلفاته مطبوعة كالمغازي، والردة؛ مما يسر لنا الطريق لمزيد من الدراسة الفاحصة الناقدة، التي كشفت عن براعة هذا المؤرخ، ومنهجه العلمي القويم في دراسة الفترة المدنية، إلى جانب اهتمامه بأحداث الردة ووقائعها المهمة التي شغلت الجانب الأكبر من خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

وقد ختمت البحث بخلاصة ركزت فيها السمات العامة لمؤرخي المدينة في القرنين الأولين من الهجرة؛ إذ يصعب الفصل فيها بين مؤرخي هذين القرنين، فأبرزت الصفات والخصائص العامة المشتركة، التي تجمع بين هؤلاء المؤرخين، والدور الذي لعبوه في خدمة بلدهم الحبيب (المدينة)، وذلك من خلال النتاج العلمي الذي خلّفوه للأجيال اللاحقة من بعدهم، حيث سجلوا منجزات المسلمين الذين أرخوا لهم في تلك الحقبة المهمة من تاريخ الإسلام والمسلمين .

(مؤرخو المدينة في طور النمو والازدهار)

أولاً: محمد بن عُبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزُهْري المدني[1]:

ولد الإمام المحدث المؤرخ الزهري سنة ٥٠هـ/ ٦٧٠م. روى عن عبدالله ابن عمر بن الخطاب، وسهل بن سعد، وأنس، وجابر، وسعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وسالم بن عبدالله بن عمر، وعبد الله بن كعب بن مالك، وعبدالرحمن بن كعب بن مالك، وغيرهم. روى عنه محمد بن إسحاق، وعمر ابن عبد العزيز، وصالح بن كيسان، ويزيد بن أبي حبيب، وجعفر بن ربيعة (فيما كتب إليهما)، وموسى بن عقبة، وهشام بن عروة، ومالك، وغيرهم. كان ثقة كثير الحديث والعلم والرواية، فقيهًا جامعًا[2] .

---

(١) راجع ترجمته في: (طبقات ابن سعد، ط. دار الكتب العلمية ج٥ ص ٣٤٨- ٣٥٧، والثقات لابن حبان ٤ / ٣٤٩-٣٥٠ ، وحلية الأولياء لأبي نُعيم (م. السعادة) ج٣ ص٣٦٠ وبعدها، وسير أعلام النبلاء ٥ / ٣٣٣ وبعدها، وتهذيب التهذيب ٩ / ٣٩٥-٣٩٩، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان (طبعة الهيئة العامة للكتاب، من الترجمة العربية) ج١ ص ٣١٣-٣١٤ .

(٢) طبقات ابن سعد (ط. دار الكتب العلمية) ٥ / ٣٥٦-٣٥٧ .

كان الزهري ذا صبر على العلم، ومثابرة عليه، فطلبه من كافة مظانه، وكان يأتي مجالس العلم من صدورها، ويزاحم العلماء بالمناكب، ولا يدع أحدًا إلا سأله من أهل العلم[١]. وكان يستوعب العلم من خلال ذاكرة حافظة، وفهم جيد، وتدوين لما يسمع، ومراجعة مستمرة له[٢]. ولكونه كان من أعلم الناس بالسنة، كلفه الخليفة عمر بن عبد العزيز بتجميع أحاديث النبي ﷺ تجميعًا شاملاً مستقصيًا[٣]. ولاشك أن مرويات السيرة النبوية كانت داخلة في هذا العمل الجليل. وقد حرص الزهري على إرساء دعائم إسناد مروياته خاصة أحاديث الرسول ﷺ، حتى قال عنه الإمام مالك: «أول من أسند الحديث ابن شهاب»[٤]. وقال عنه الإمام أحمد بن حنبل: «الزهري أحسن الناس حديثًا، وأجود الناس إسنادا»[٥]. ولاريب أن الحرص على ذكر أسانيد الروايات أمر مهم؛ لحمايتها من التحريف والبطلان. وهذا تطور مهم في الرواية الحديثية عمومًا، والرواية التاريخية على وجه الخصوص، ولم تقف ريادة الزهري له عند حدود مدرسة المدينة، بل تجاوزها- بعد اتصاله بخلفاء بني أمية- إلى الشام وعلمائها[٦]. توفي ابن شهاب (رحمه الله) في شهر رمضان سنة ١٢٥هـ/ ٧٤٢م[٧].

من مرويات الزهري التاريخية:

في السيرة النبوية: (استأجرت خديجة رضي الله عنها رسول الله ﷺ، ورجلاً آخر من قريش إلى سوق خُباشة بتهامة. وكان الذي زَوَّجها إياه خويلد، والتي

---

(١) تهذيب التهذيب ٩ / ٣٩٧.

(٢) سير أعلام النبلاء ٥ / ٣٣٣، ٣٣٧، ٣٤٤، ٤٥٥.

(٣) راجع هذا الموضوع في كتاب: (بحوث في تاريخ السنة المشرفة، ط٣- مؤسسة الرسالة- بيروت ١٩٧٥م) للدكتور أكرم ضياء العمري ص ٢٢٧، وكتابي: (معالم الثقافة الإسلامية) ص ٩٠، ٩٧-٩٨.

(٤) تقدمة المعرفة لابن أبي حاتم (ط. الهند) ص ٢٠.

(٥) سير أعلام النبلاء ٥ / ٣٣٥.

(٦) المصدر السابق: ٤ / ٤٨٨، ٥ / ٣٣٤.

(٧) تهذيب التهذيب ٩ / ٣٩٨.

مشت في ذلك مولاة مُولدة من مولدات مكة[1] - روى ابن إسحاق أن الزهري حدثه أنه حُدِّث أن كبار المشركين استمع لقراءة النبي ﷺ القرآن سرًا، ثم التقوا فتلاوموا، وتعاهدوا ألا يعودوا، وهم يكرون ذلك ثلاث ليال، ثم أبى كبيرهم أبو جهل أن يؤمن؛ كي لا يكون نبي من بني هاشم دونهم[2] - حدّث الزهريُّ ابنَ إسحاق، عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي، عن أم سلمة في رواية طويلة تناولت الهجرة إلى الحبشة، ومحاولة قريش الوقيعة بين النجاشي والمسلمين المهاجرين إليه عن طريق عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص، وفشل ذلك[3] - إتيان الرسول ﷺ كندة في منازلهم- أثناء عرضه نفسه على قبائل العرب في المواسم- وفيهم سيدهم مُلَيْح، فأبوا الإسلام[4] - ذكر ابن شهاب عن أبي إدريس الخَوْلاني، عن عبادة ابن الصامت، عن النبي ﷺ حديثًا قَصّ فيه عبادة الذي كان حاضرًا في اثني عشر رجلاً في بيعة العقبة الأولى- نصوص البيعة قبل أن تُفترض الحرب، حيث بايعوا الرسول ﷺ على ما بايعه عليه النساء[5] - أمر النبي ﷺ بالتأريخ لما قدم المدينة مهاجرًا في شهر ربيع الأول[6] - روى الزهري عن ابن عمرو أن الصحابة ﷺ أصابتهم الحُمَّى عندما قدموا المدينة حتى أجهدتهم، فصلى الصحابة قعودًا، فأخبرهم النبي ﷺ أن لهم نصف ثواب القائم في صلاته، فتجشموا القيام؛ طلبًا للفضل[7] - روي عن سليمان بن أبي حثمة حُجَجًا عديدة لحكيم بن حزام هي مؤشرات لهزيمة بدر قبل المعركة[8] - طريقة معاملة أسرى بدر[9] - ذكر ابن شهاب الزهري عن ابن إسحاق: أن أول من عرف

(١) تاريخ الطبري: ٢ / ٢٨١-٢٨٢ .
(٢) سيرة ابن هشام ١ / ٣١٥-٣١٦ .
(٣) المصدر السابق: ١ / ٣٣٤-٣٣٨ .
(٤) تاريخ الطبري ٢ / ٣٤٩ .
(٥) المصدر السابق ٢ / ٣٥٦-٣٥٧ .
(٦) السابق ٢ / ٣٨٨ .
(٧) البداية والنهاية (ط. مكتبة المعارف) ٣ / ٢٢٣-٢٢٤ .
(٨) المغازي للواقدي ١ / ٣٤-٣٥ .
(٩) المصدر السابق ١ / ١١٩ .

رسول الله ﷺ بعد هزيمة أُحُد، وقول الناس: قُتل رسول الله ﷺ، هو كعب بن مالك، وكيفية معرفة الرسول، ورد فعْله[1] - إجابة الزهري عن سؤال عبد الله بن جعفر عن عدد شهداء المسلمين في بدر، وأسمائهم[2] - روى الزهري عن عروة أن ثمانية نفر ضرب لهم رسول الله ﷺ بسهامهم وأجورهم في بدر، ولم يشهدوا الوقعة[3] - عدد من شهد بدرًا من المسلمين مع ملاحظة أن قومًا منهم أتوا من مكة في صفوف المشركين، فانحازوا إلى المسلمين[4] - عبدالله بن أُبَيّ المنافق وما كان يفعل كل جمعة؛ تظاهرًا بتأييد الرسول، وموقف الناس منه؛ لانسحابه بمن معه من الجند في أُحد، ورفضه استغفار الرسول ﷺ له[5] -توقيت نزول سورة الفتح والمقصود بأولي البأس فيها[6] - تعليق الزهري على صلح الحديبية[7] - تطوع بلال بإيقاظ المسلمين لصلاة الفجر عند العودة من خيبر فيما يرويه الزهري عن ابن المسيب، ونوم بلال عن الصلاة، وإيقاظ الجيش[8] - موقف الرسول ﷺ من يهود خيبر ونخلهم وأرضهم[9] - أسماء من استشهد يوم مؤتة[10] - مواضع عاتب فيها الرسول ﷺ أبا لُبابة الأنصاري[11] - سريّة تجهيز الرسول ﷺ لفتح مكة[12] - لقاء العباس رضي الله عنه عم الرسول ﷺ له- وهو في طريقه لفتح مكة-

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ / ٨٣، وتاريخ الطبري ٢ / ٥١٨ .
(٢) المغازي للواقدي ١ / ١٤٥-١٤٦ .
(٣) المصدر السابق ١ / ١٥٢-١٥٣ .
(٤) السابق ١ / ١٥٦ .
(٥) السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ١٠٥ .
(٦) المصدر السابق ٢ / ٣٢٠-٣٢١ .
(٧) السابق ٢ / ٣٢٢، وتاريخ الطبري ٢ / ٦٣٨ .
(٨) سيرة ابن هشام ٢ / ٣٤٠ .
(٩) المصدر السابق ٢ / ٣٥٦-٣٥٧، وتاريخ الطبري ٣ / ٢٠-٢١ .
(١٠) سيرة ابن هشام ٢ / ٣٨٨ - ٣٨٩ .
(١١) المغازي للواقدي ٢ / ٥٠٥ .
(١٢) المصدر السابق ٢ / ٧٩٥- ٧٩٧ .

ومعه عياله مهاجرًا إلى المدينة[1] - تاريخ فتح مكة، ومن ولاه عليها رسول الله ﷺ، ووظيفة معاذ بها)[2] .

في تاريخ الراشدين، والأمويين:

(أبو بكر الصديق رضي الله عنه في بداية حكمه: مسكنه، وراتبه[3] - طلحة يحذر أبا بكر استخلافه عمر بن الخطاب من بعده لشدته[4] ، مظاهر حزن النساء على وفاة أبي بكر[5] - اختلاف الصحابة مع عمر رضي الله عنه حول الخروج للشام أثناء ظهور الطاعون هناك سنة ١٧هـ[6] - تولية عمر أبا موسى الأشعري البصرة، وعزل المغيرة بن شعبة لشكوى ضده[7]- توقيت طعن عمر[8]- بلغنا أن أهل الكتاب أول من لقّبوا عمر رضي الله عنه بـ (الفاروق)[9]، سن عمر عند الوفاة[10]- دور محمد بن أبي حذيفة، وابن أبي بكر في التأليب على عثمان بعد خروج ابن سعد إليه[11]- مواقف بعض الصحابة ومنهم: طلحة، والزبير من بيعة علي[12] - وقيس بن سعد بن عبادة وعلاقته بمعاوية وعلي[13] ، أعمار بعض الخلفاء ومنهم معاوية، وعُمْر يزيد ابنه[14] - مدة خلافة الوليد بن عبد الملك الأموي)[15] .

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ / ٤٠٠ .
(٢) المغازي للواقدي ٣ / ٨٨٩ .
(٣) المغازي للواقدي ٣ / ٤٣١ وبعدها.
(٤) المصدر السابق ٣ / ٤٣٣ .
(٥) تاريخ الطبري ٣ / ٤٢٣ .
(٦) المصدر السابق ٤ / ٥٧-٥٨ .
(٧) السابق ٤ / ٦٩ .
(٨) السابق ٤ / ١٩٤ .
(٩) السابق ٤ / ١٩٥-١٩٦ .
(١٠) السابق ٤ / ١٩٧ .
(١١) السابق: ٤ / ٢٩٢ .
(١٢) السابق: ٤ / ٤٢٩-٤٣٠ .
(١٣) السابق: ٤ / ٥٥٢-٥٥٣ .
(١٤) السابق: ٥ / ٣٢٥، ٤٩٩ .
(١٥) السابق: ٦ / ٤٩٥ .

نظرات تحليلية نقدية:

من الواضح أن الزهري اهتم اهتمامًا شاملاً بسيرة رسول الله ﷺ بداية من اقترانه بالسيدة خديجة رضي الله عنها حتى السنوات الأخيرة من جهاده في سبيل نشر الدعوة الإسلامية بمكة من خلال عرض نفسه على قبائل العرب في مواسمهم المختلفة، حتى أذن الله له بلقاء الأنصار، وأخذ البيعة منهم. ويزداد تركيزه وتفصيله- في ضوء ما تجمع لدينا من نصوص منسوبة إليه- في الفترة المدنية، منذ وطئت أقدام صحابته دار هجرتهم وما عانوه من أوجاع وأسقام، سرعان ما تغلبوا عليها، وانخرطوا في حياتهم الجديدة داخل المجتمع الإسلامي الجديد بالمدينة، ومرورًا بالغزوات المختلفة التي خاضها المسلمون- المهاجرون والأنصار معًا- ضد المشركين واليهود، وما عقدوا من اتفاقات إلى أن تحقق لهم النصر بفتح مكة، وانتشر الإسلام في جنبات الجزيرة العربية، وأخذ عمال الرسول ﷺ يجوبون أنحاءها يجمعون من أهلها صدقات أموالهم، وانتهاء بانتقاله إلى الرفيق الأعلى. واهتم الزهري- فيما طالعنا من مروياته- اهتمامًا يسيرًا بعصر الراشدين بالقياس إلى عصر الرسالة، فوقفنا على روايات تتصل بحكم أبي بكر، وبعض أحداث التولية والعزل، والشورى في عصر عمر، وجانب من المؤامرات التي حيكت ضد الخليفة المفترى عليه عثمان رضي الله عنه، وبعض مظاهر انفلات الأمور من بين يدي الخليفة الرابع علي بن أبي طالب وخلافه مع معاوية رضي الله عنهما. وبالنسبة للعصر الأموي فمن الواضح أن الزهري لم يعالج تاريخ هذه الدولة، وما بقي من مرويات تتصل بها، يتمثل في أسئلة كانت توجه إليه من قبل بعض الخلفاء الأمويين عن أعمار خلفاء بني أمية السابقين، ومدة حكم بعضهم[1].

اعتنى الزهري بأسانيد رواياته التاريخية، ودقق في اختيارها والنقل عنها، كما في تناوله هجرة المسلمين إلى الحبشة، ومحاولة قريش زعزعة استقرارهم هناك، وفشلها في ذلك فشلاً ذريعًا (ويلاحظ أن أم سلمة هي الراوية الأساسية

---

(١) بحث في(نشأة علم التاريخ عند العرب) للدكتور عبد العزيز الدُّوري (م. الكاثوليكية- بيروت) ص ٩٧-٩٨.

التي انتهى إليها الحدث، وهي شاهدة عيان؛ إذ كانت إحدى المهاجرات إلى الحبشة)، وكذلك أورد إسناد حديث بيعة العقبة الأولى، ورفعه إلى النبي ﷺ. لكن لم يكن هذا دومًا في أسانيد الروايات التي بين أيدينا، فأحيانًا يكتفي بمن روى عنه كابن عمرو، وابن المسيب، وعروة[1]. وربما لا يذكر من روي عنه، فيقال: حُدّث (كما في روايته عن سماع كبار المشركين من أمثال: أبي جهل، وأبي سفيان لتلاوة رسول الله ﷺ). والذي يغلب على الظن أن الزهري كان يواظب على الإسناد؛ لأنه أرسى قواعده، وكان أول الداعين الحريصين عليه، وأن البتر والحذف في الأسانيد إنما هو من تصرف محمد بن إسحاق على سبيل الاختصار؛ بدليل أن الرواية التي نصّتْ على معرفة كعب بن مالك لشخصية الرسول ﷺ بعد هزيمة أُحُد، وأنه لا يزال في عِداد الأحياء، وردت لدى ابن إسحاق دون إسناد، بينما ساقها الواقدي بإسنادها (حدثني معمر ابن راشد، عن الزهري، عن ابن كعب بن مالك، عن أبيه)[2]، وأخيرًا، فإن بعض الباحثين يرى أن الزهري سار خطوة مهمة نحو الأخبار التاريخية المتصلة، حين اتخذ الإسناد الجمعي، وذلك عن طريق جمع عدة روايات في قصة سهلة متسلسلة يتقدمها رجال الأسانيد[3]. والحق أن صاحب هذا المنهج هو محمد ابن إسحاق، وتعمق هذا المنهج عند التطبيق على يدي الواقدي من بعدُ، كما سنرى فيما بعد. ولم يكن الزهري صاحب هذا الاتجاه؛ لأنه كان حريصًا على إثبات إسناد كل رواية على حدة.

حرص الزهري على الاحتفاظ في روايته التاريخية ببعض الوثائق التاريخية المهمة، التي كان لها ما وراءها، مثل: نص بيعة العقبة الأولى التي أرست

---

(١) يرى الدكتور الدوري أن عروة بن الزبير هو المصدر الأول لروايات الزهري، إلى جانب إكثاره عن أستاذه سعيد بن المسيب. (بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ص ٧٩-٨٠). يبدو أن هذا صحيح إلى حد كبير.

(٢) المغازي للواقدي ج١ ص٢٣٦.

(٣) بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب للدكتور الدوري ص ٩٤، والتاريخ العربي والمؤرخون للدكتور شاكر مصطفى ١ / ١٥٨.

العلاقة بين الأنصار ورسول الله ﷺ، وكذلك الرسائل المتبادلة بين علي، وقيس بن سعد حول شيعة الأمويين بمصر، وما انتهت إليه من خلاف بين الرجلين، وعزل آخرهما عن ولاية مصر، وهي النتيجة التي كان يهدف إليها معاوية من شائعاته التي بثتها عيونه بالشام والحجاز عن مراسلات قيس إليه ومناصرته إياه، فكان إبعاد هذا الوالي الكفء عن مصر خطوة أساسية؛ من أجل سيطرة معاوية عليها بعد قليل.

غلبت الصبغة الفقهية على بعض الروايات كانعكاس لثقافة الزهري، فاهتم برواية صلاة المسلمين قعوداً وهم مرضى بالحمى، ثم حث الرسول ﷺ لهم بالصلاة قيامًا؛ كي لا يفقدوا نصف ثواب صلاتهم. وكذلك اهتم ببيان كيفية قضاء المسلمين صلاة الفجر بعد أن نام بلال، ولم يوقظ الرسول والجيش قبل طلوع الشمس.

اهتم الزهري ببيان توقيت الأحداث التاريخية المهمة، مثل: نزول سورة الفتح بين مكة والمدينة عند رجوع المسلمين من الحديبية[1]. وكان نزول هذه السورة من الأهمية بمكان؛ ليمسح ما يشعر به المسلمون من خيبة أمل؛ نتيجة عدم أداء العمرة بمكة، ونصوص صلح الحديبية التي رأوها مجحفة بهم، ولصالح أعدائهم. وكذلك تاريخ فتح مكة لثلاث عشرة ليلة مضت من رمضان سنة ٨هـ/ ٦٢٩م. ونقل الواقدي رأيًا آخر صدّره بـ(قالوا): كان فتحها الجمعة لعشر بقين من رمضان[2]. والتاريخ الأخير هو الأغلب والأشهر.

تفصيلات ومعلومات جيدة مهمة: من ذلك: ما أورده عن حرص ابن أبيّ- كل جمعة والرسول ﷺ يخطب- على القيام بحث الناس على نصرة الرسول، والسمع له والطاعة. وقد أراد القيام بهذا الأمر التقليدي الذي غدا غير ذي معنى ولا مضمون- بعد رجوعه بثلث الجيش في أُحُد- فصاح فيه المسلمون أن يجلس، وبعضهم جذبه من ثيابه، والبعض قال له: يا عدو الله، لستَ لذلك

(١) سيرة ابن هشام ٢ / ٣٢٠.
(٢) المغازي للواقدي ٣ / ٨٨٩.

بأهل. فما كان منه إلا أن تخطى الرقاب وخرج من المسجد، مدعيًا أنه يَشُدّ أمر الرسول ﷺ، فنصحه البعض بالرجوع؛ ليستغفر له الرسول، لكنه قال: والله ما أبتغي أن يستغفر لي[1]. ومن المعلومات الجديدة خروج بعض الجند المشركين في بدر، ثم انحيازهم إلى المسلمين في المعركة، مثل: عبدالله بن سُهيل بن عمرو، ووهب بن سعد بن أبي سَرْح، وأبي سَبْرَة بن أبي رُهْم، وغيرهم[2]. ومن ذلك أيضًا: أن العباس لقي الرسول بـ (الجُحْفَة) مهاجرًا بعياله، وكان قبل ذلك مقيمًا بمكة على سقايته، ورسول الله ﷺ عنه راضٍ[3].

بعض المظاهر الحضارية: تناولت بعض روايات الزهري بعض الظواهر الحربية، والاجتماعية، والحرية السياسية، منها: إخفاء الرسول ﷺ أمر تجهيزه لفتح مكة، وطلبه إلى عائشة أن تخفي الأمر، فأخفته حتى عن والدها الصديق. وأخذ الرسول يدعو الله أن يعمي الأخبار والعيون على قريش[4]؛ حتى يدخل الجيش الإسلامي عليهم مكة بغتة، فلا يقع قتال؛ فالسرية والتكتم في التحرك العسكري مهم لنجاح المهام الحربية. وكذلك رصد مظاهر حزن النساء (عائشة، وأم فروة) على وفاة الصديق رضي الله عنه، وتدخل عمر بدِرَّته؛ ليفرقهن[5]. وكذلك استشارة أبي بكر طلحة بن عبيد الله فيمن يستخلف بعد موته، ورفضه أن يكون عمر خليفة من بعد الصديق؛ لشدته والصديق حي، فما باله وقد صار الأمر إليه وحده، وإقناع الصديق له أن عمر يشتد حين يلين الصديق. ولما اشتد عليه طلحة في النصح، وذكره بالله ومسئوليته عن الرعية؛ قال الصديق بكل ثقة: سأقول: «استخلفت على أهلك خير أهلك»[6].

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ / ١٠٥.

(٢) المغازي ١ / ١٥٦ - ١٥٧.

(٣) سيرة ابن هشام ٢ / ٤٠٠. الجحفة: قرية كبيرة على طريق المدينة من مكة، وهي قريبة من ساحل ميناء (الجار). (معجم البلدان ٢ / ١٢٩).

(٤) المغازي للواقدي ٢ / ٧٩٦.

(٥) تاريخ الطبري ٣ / ٤٢٣.

(٦) السابق ٣ / ٤٣٣.

الشرح والتعليق: فسَّر الزهري المقصود بـ (أولي بأس) الواردة في قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾[1]، بأن المقصود: بنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب[2]. وهو تفسير مستقبلي لما استجد من أحداث الردة، التي لم يجابه أحداثها إلا المؤمنون المخلصون حقًا. وعلّق الزهري على اعتبار صلح الحديبية بمنزلة الفتح العظيم، فقال: لم يفتح في الإسلام فتح قبله أعظم منه؛ لأن الهدنة لما انعقدت، وضعت الحرب أوزارها، وأمكن دعوة الناس إلى الإسلام، فكانت فرصة لإعمال العقل والاقتناع بالدين الجديد، حتى إنه دخل في سنتي الهدنة مثل من كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر. ووافق ابن هشام على تعليق الزهري، ودلل عليه بقوله: إن الرسول ﷺ خرج إلى الحديبية في ألف وأربعمائة، ثم خرج في عام فتح مكة- بعد ذلك بعامين- في عشرة آلاف[3].

خطّأ الواقدي رواية الزهري التي ذكرت أن الذي زوّج الرسول لخديجة هو أبوها خويلد؛ لأن الثابت أن أباها مات قبل حرب الفجار، والذي زوجها هو عمها عمرو بن أسد[4].

وكذلك لم يكن الزهري على صواب، عندما جعل الرسول هو الذي وضع التاريخ الهجري؛ لأن الصحيح المتواتر الذي قطع به الطبري هو أن المسلمين كانوا يؤرخون بالشهر والشهرين من مقدم الرسول حتى تمت السنة، والذي أمر بالتأريخ في الإسلام عمر بن الخطاب؛ لضبط إيقاع الحياة الإدارية والاقتصادية في الدولة بعد اتساعها[5]. فهو - بحق- باني الدولة الإسلامية.

وذكر ابن شهاب أن الرسول ﷺ افتتح خيبر عنوة بعد القتال، وترك من نزل من أهلها على الجلاء بعد القتال، وخَمّس رسول الله خيبر، ثم قسم

---

(١) سورة الفتح: ٤٨ / من الآية ١٦.
(٢) سيرة ابن هشام ٢ / ٣٢١.
(٣) المصدر السابق ٢ / ٣٢٢.
(٤) تاريخ الطبري ٢ / ٢٨٢.
(٥) المصدر السابق ٢ / ٣٨٨ وما بعدها.

سائرها على من شهدها[1] . والصواب ما قاله ابن كثير: إن خيبر جميعها لم تقسم، وإنما قسم نصفها بين الناس[2] .

وأخيراً، ذكر الزهري أن أهل الكتاب هم أول من لقبوا عمر بـ(الفاروق)، وكان المسلمون ينقلون ذلك عنهم، ولم يبلغه أن رسول الله ذكر من ذلك شيئاً[3].

والحق أن هذا الكلام فيه نظر؛ لأن رواية عائشة ذكرت أن النبي هو الذي لقبه بذلك[4] . وهو أجدر أن يكون كذلك؛ لأن الله فرق به بين الحق والباطل.

ثانياً: موسى بن عقبة بن أبي عيّاش الأسدي[5] :

من الأئمة الثقات الكبار، وأحد صغار التابعين، حيث جعله ابن سعد في الطبقة الخامسة من تابعي أهل المدينة[6] . ولد سنة ٥٥هـ/ ٦٧٤م، وأدرك بعض الصحابة، مثل: ابن عمر، وجابر. روى عن جده لأمه (أبي حبيبة مولى الزبير)، وعروة بن الزبير، والزهري، وكُريب مولى ابن عباس، وغيرهم. روى عنه ابن أخيه إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة، ومالك، وابن المبارك، وبُكير بن الأشَجّ (وهو من أقرانه)، وغيرهم. توفي بالمدينة سنة ١٤١هـ/ ٧٥٨م.

مكانته مؤرخاً للمغازي:

كان موسى بن عقبة راوية للحديث النبوي الشريف ثقة ثبتًا. وقد حاز قبول وثقة النقاد والعلماء الكبار، وحظيت مغازي رسول الله التي كان يرويها ويدونها بالرضا والقبول، حتى إن الإمام مالكًا سُئل: مغازي من نكتب؟ قال: عليكم

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ / ٣٥٦، وتاريخ الطبري ٣ / ٢٠-٢١ .

(٢) البداية والنهاية (ط. مكتبة المعارف) ٤ / ٢٠١ .

(٣) تاريخ الطبري ٣ / ١٩٥-١٩٦ .

(٤) المصدر السابق ٣ / ١٩٥ . وأكد ذلك السيوطي في (تاريخ الخلفاء، ط. دار القلم- بيروت) ص ١٢٨..

(٥) تُراجع ترجمته في : (طبقات ابن سعد، ط. دار الكتب العلمية ج٥ ص٤٢٥، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي (المطبعة المنيرية) ج٢ من القسم الأول ص ١١٧-١١٨، وسير أعلام النبلاء ٦ / ١١٤-١١٧، وتهذيب التهذيب ١٠ / ٣٢١-٣٢٣، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان (من الترجمة العربية) ج٢ ص١١، وتاريخ التراث العربي لسزكين ١ / ٤٥٧-٤٥٩).

(٦) طبقات ابن سعد (ط. دار الكتب العلمية) ج٥ ص٤٢٣ .

بمغازي موسى بن عقبة؛ فإنه ثقة. وفي رواية: عليكم بمغازي الرجل الصالح موسى بن عقبة؛ فإنها أصح المغازي. وفي رواية ثالثة: عليكم بمغازي موسى فإنه ثقة، طلبها على كبر السن؛ ليُقَيِّد من شهد مع رسول الله ﷺ، ولم يُكَثِّر كما كثر غيره[1]. ومعنى ما تقدم أن مالكًا- وهو مَنْ هو في انتقاد الرجال- طالع (مغازي موسى بن عقبة أستاذه)، فوجدها أصح من غيرها من كتب المغازي الأخرى التي قرأها؛ فصاحبها ثقة تَحَرّى مصادر نقله، ولم يكتبها إلا بعد نضج في الفهم، وخبرة وعلم. وتذكر لنا بعض الروايات أن موسى كتبها بعد أن بلغه اتهام الناس لشُرَحبيل بن سعد المدني (ت١٢٣هـ/ ٧٤٠م) أنه يُدخل في كتابه عن (المغازي) من لم يشهد بدرًا، وفيمن قتل يوم أحد من لم يكن منهم. وقد احتاج، فسقط عند الناس. فلما علم بذلك موسى، ووجد أن الأهواء الشخصية تدخلت في هذا الأمر؛ تعجب من تجرؤ الناس على ذلك، وأراد درء هذا التحريف في تدوين المغازي، وسجل أسماء من شهد بدرًا وأحدًا، ومن هاجر إلى الحبشة، ومن هاجر إلى المدينة، وهكذا[2]. لقد كتب الرجل بإيجاز دون استطراد، فحاز قصب السبق، وليس هذا بمستغرب على أسرة كلها محدثون، وفقهاء، وعلماء، فقد كان له، ولأخويه: إبراهيم، ومحمد حلقة علم في مسجد رسول الله ﷺ[3].

حول ما بقي من كتاب (المغازي) لموسى بن عقبة:

يعد موسى بن عقبة من أبرز تلاميذ الزهري، وعنه استفاد كثيرًا من مرويات السيرة النبوية، حتى قال يحيى بن معين: «كتاب موسى عن الزهري من أصح هذه الكتب»[4]. ولعل موسى اعتمد- أيضًا- على كتب ابن عباس، التي أودعها عنده كُريب مولاه، كما مر بنا من قبل.

---

(١) سير أعلام النبلاء ٦ / ١١٥، وتهذيب التهذيب ١٠ / ٣٢٢.
(٢) سير أعلام النبلاء ٦ / ١١٦، وتهذيب التهذيب ١٠ / ٣٢٢.
(٣) طبقات ابن سعد (ط. دار الكتب العلمية) ج٥ ص ٤٢٥، وتهذيب التهذيب ١٠ / ٣٢٢.
(٤) سير أعلام النبلاء ٦ / ١١٧، وتهذيب التهذيب ١٠ / ٣٢٢.

يذكر الإمام الذهبي أن موسى أول من ألّف في المغازي. وقد طالع الذهبي مؤلَّفه، فوجده مجلداً ليس بالكبير، فهو مختصر يحتاج إلى مزيد بيان وتفصيل، وإن كان ما فيه من روايات سمعها الذهبي، هي - في الغالب- صحيحة، وبعضها من قبيل المراسيل الجيدة[1]. والظاهر أن الذهبي- ومن بعده السخاوي[2]. يقصدان بأولية موسى في التأليف في المغازي ريادته في التنظيم والتصنيف خلال القرن الثاني الهجري، وأن ما سبقه من كتابات كانت مجرد محاولات تدوين مبدئية، ولا تعد كتاباً بالمعنى الدقيق. وإن كنتُ أرى أن محاولة الزهري أستاذه هي الأسبق، وهي التي اعتمد عليها موسى، وزادها تنقيحاً وتهذيباً.

يغلب على الظن أن كتاب موسى صار في عداد المفقودات، وإن نشر المستشرق الألماني سخاو (١٨٤٥-١٩٣٠م) قطعة منه سنة ١٩٠٤م[3]، لم أقف عليها. ومن هنا سأحاول تسجيل ما تيسر لي من رءوس عناوين الروايات المنسوبة إلى موسى في المصادر المتأخرة عنه، محاولاً بعد ذلك رسم الملامح العامة لمنهجه التأريخي.

من مرويات موسى بن عقبة:

في المغازي:

(روى موسى بن عقبة عن الزهري أن رؤيا رسول الله ﷺ لملك الوحي كانت منامية، ثم جاءه الملك يقظة[4] - قول أبي ذر: كنت في الإسلام

---

(١) سير أعلام النبلاء ٦ / ١١٤، ١١٦. الرواية المرسلة في الأحاديث هي ما سقط من إسنادها الصحابي، أو ما أخبر به الصحابي عن قول الرسول ﷺ، أو فعله، ولم يسمعه أو يشاهده. وبعض العلماء قبل الروايات المرسلة إذا كانت عن الثقات، ووافقت ما رواه الحفاظ (راجع: تدريب الراوي للسيوطي، ط. دار الكتب العلمية) ج١ ص١٩٥، وما بعدها، وتيسير مصطلح الحديث للدكتور الطحان (ط. دار التراث العربي) ص ٥٣-٥٥.

(٢) الإعلان بالتوبيخ ٢ / ٧٠٥.

(٣) المغازي للواقدي (مقدمة المحقق: مارسدن جونس) ص ٢٤، والموجز في مراجع التراجم للدكتور الطناحي (نشر: مكتبة الخانجي) ص٤٢.

(٤) البداية والنهاية لابن كثير (ط. الريان للتراث) ج٣ ص٤. وقد استحسن ابن كثير تلك الرواية؛ فالرؤيا المنامية إعداد للرسول لذلك اللقاء العصيب في اليقظة.

خامساً[1] - توقيت هجرة الحبشة الأولى والقول بأن جعفر بن أبي طالب ممن هاجر الهجرة الثانية[2] - خالد بن حزام[3] ، وسليط بن عمرو[4] لم يذكرهما موسى ضمن مهاجرة الحبشة، وعبد الله بن حذافة لم يذكره موسى ضمن مهاجرة الحبشة الثانية[5] - وفاة السكران بن عمرو في الحبشة[6] - هدايا قريش للنجاشي، وما أشار به عليه أمراؤه من رَدّ المسلمين إلى بلادهم، ورفضه ذلك[7] - روى موسى عن الزهري الظروف التي أدت إلى المقاطعة الاقتصادية التي انتهت بتمزيق الصحيفة الجائرة[8] - توقيت رحلة الإسراء[9] - توجه الرسول ﷺ إلى أهل الطائف وكبرائهم يدعوهم إلى الإسلام، وسوء استقبالهم له، ووقوف السفهاء له صفين يضربونه بالحجارة حتى أدموا قدميه، وما قاله الخادم عَدّاس لسيده عن رسول الله ﷺ[10] - روى موسى عن الزهري أن الرسول ﷺ عرض نفسه على القبائل في السنين الأخيرة له في مكة، وهدفه من ذلك[11] - أول اجتماع للرسول ﷺ مع الأنصار، وكانوا ثمانية فأسلموا، وواعدوه اللقاء من قابل، ونشروا الإسلام بالمدينة، وأرسلوا من يحضر لهم فقيهًا يعلمهم الإسلام[12] - ما رواه عروة وموسى عن عدد الحاضرين في بيعة العقبة الثانية، وقدرهم بسبعين رجلاً (ثلاثين من الشباب، وأربعين من ذوي الأسنان)، ومعهم امرأة واحدة[13] - توقيت الهجرة النبوية

(١) طبقات ابن سعد (ط. دار الكت العلمية) ج٤ ص١٦٩ .
(٢) البداية والنهاية (ط. دار الريان للتراث) ج٣ ص٦٥ .
(٣) طبقات ابن سعد (ط. دار الكتب العلمية) ج٤ ص٩٠ .
(٤) المصدر السابق ٤ / ١٥٣-١٥٤ .
(٥) السابق ٤ / ١٤٤ .
(٦) السابق ٤ / ١٥٤ .
(٧) البداية والنهاية (ط. الريان) ج٣ ص٧٠ - ٧١ .
(٨) المصدر السابق ٣ / ٨٢-٨٣ .
(٩) السابق ٣ / ١٣٣-١٣٤ .
(١٠) السابق ٣ / ١٠٧ .
(١١) السابق ٣ / ١٣٧-١٣٨ .
(١٢) السابق ٣ / ١٤٧ .
(١٣) السابق ٣ / ١٥٨ .

إلى المدينة، ودور علىّ فيها، وخروج النبي ﷺ وصاحبه ليلاً، وبحث قريش عنهما في كل مكان[1] - موقف عبد الله بن أُبَيّ الكاره المعادي لرسول الله منذ دخل الرسول المدينة[2] - ذكر موسى بن عقبة روايتين حول أرض الغلامين اليتيمين، التي بنى المسجد النبوي عليها[3] - أسماء المطعمين من قريش في طريقهم إلى بدر[4] - شهود سفيان بن بشر، وعنترة بن عمرو بدراً وأحداً[5] - عدد شهداء المسلمين من المهاجرين ومن الأنصار في بدر، وعدد قتلى وأسرى المشركين[6] - توقيت غزوة أُحد[7] - عدد شهداء أحد[8] - عدد شهداء المسلمين يوم الرجيع، وأسماؤهم[9] - لم يوجد جسد عامر بن فهيرة يوم بئر معونة، يرون الملائكة وارته[10] - توقيت غزوة بدر الآخرة[11] - توقيت وقعة الأحزاب[12]، والحديبية[13]، وخيبر[14] - الظروف التي عجلت بمسير الرسول إلى مكة لفتحها، وفشل محاولات أبي سفيان لمنع ذلك، وتجهيز الرسول للفتح في سرية[15] - محاربة المسلمين هوازن[16] - غزوة الطائف[17]-

---

(١) البداية والنهاية (ط. دار الريان) ٣ / ١٨١ .
(٢) السابق ٣ / ١٩٧ .
(٣) السابق ٣ / ٢١٣ .
(٤) المغازي للواقدي ١ / ١٤٤-١٤٥ .
(٥) طبقات ابن سعد (ط. دار الكتب العلمية) ٣ / ٤٠٥، ٤٣٦ .
(٦) البداية والنهاية (ط. دار الريان) ٣ / ٣٠١ .
(٧) المصدر السابق ٤ / ١١ .
(٨) المصدر السابق ٤ / ٤٧ .
(٩) السابق ٤ / ٦٦ .
(١٠) السابق ٤ / ٧٤ .
(١١) السابق ٤ / ٩٠-٩١ .
(١٢) السابق ٤ / ٩٥ .
(١٣) السابق ٤ / ١٦٦ .
(١٤) السابق ٤ / ١٨٣ .
(١٥) السابق ٤ / ٢٨٠ وبعدها .
(١٦) السابق ٤ / ٣٢٨- ٣٢٩ .
(١٧) السابق ٤ / ٣٤٦-٣٤٧ .

عَتَّاب بن أسيد، ومعاذ بن جبل ودورهما في مكة[1] - مجيء وفد ثقيف إلى الرسول، وحوارهم معه، ومظاهر لها دلالتها أثناء هدم صنمهم اللات[2] - حول الغزوات التي قاتل فيها رسول الله ﷺ ومواقيت بعضها[3] - وفاة رسول الله ﷺ، وخطبة أبي بكر، وبكاء أم أيمن وسببه الحقيقي[4] - روى موسى بن عقبة في (مغازيه) عن سعد بن إبراهيم قال: حدثني أبي عن أبيه عبدالرحمن بن عوف، وبيان موقف عليّ والزبير من مبايعة أبي بكر الصديق)[5].

في تاريخ الراشدين، والأمويين:

(خروج أسامة بن زيد بالجيش في عهد أبي بكر، وما غنمه جيشه وعودته بعد أربعين يومًا[6] - معاقبة أبي بكر مغنيتين سَبَّتا رسول الله في غنائهما[7] - استشهاد قيس بن السكن يوم جسر أبي عُبيد سنة ١٤هـ/ ٦٣٥م[8] - تحذير عمر بن الخطاب الناس في عصره، ورده الغليظ العنيف عليهم لما شكوا كثرة العيال وشدة المؤونة[9] - تجرؤ البعض على الخليفة عثمان ومطالبته بالتوبة، ومخاطبته بما لا يليق[10]، وموقف عبد الله بن عمر[11]، وسعد بن أبي وقاص من حصار عثمان رضي الله عنه[12] - استعراض الجند المشاركين في موقعة

---

(١) البداية والنهاية (ط. دار الريان) ٤ / ٣٦٧.
(٢) السابق ٥ / ٣٠.
(٣) طبقات ابن سعد (ط. دار الكتب العلمية) ج٢ ص٣، والبداية والنهاية (دار الريان) ٥ / ١٩٠-١٩١.
(٤) المصدر السابق ٥ / ٢٤٠.
(٥) السابق ٦ / ٣٠٦.
(٦) تاريخ الطبري ٣ / ٢٢٧.
(٧) المصدر السابق ٣ / ٣٤١-٣٤٢.
(٨) السابق ٧ / ٥٠.
(٩) السابق ٤ / ٢١٣.
(١٠) السابق ٤ / ٣٦٦.
(١١) البداية والنهاية (ط. دار الريان) ج٧ ص١٩٠.
(١٢) تاريخ الطبري: ٤ / ٣٧٧.

الجمل، واستصغار عروة بن الزبير وغيره[1] - ندم طلحة على موقفه من عثمان، وإصراره للخروج مع ابنه للثأر له[2] - استدعاء أبي حبيبة من قِبَل خالد بن عبدالله القَسْري سنة ٩١هـ/ ٧٠٩م، لما بلغه أنه نزل منازل الزبير، وتبرؤه من المخالفة والخروج على بني أمية)[3].

الخطوط العامة لمنهج موسى بن عقبة في البحث التاريخي[4]:

المفهوم الشامل للمغازي: فهم موسى بن عقبة مصطلح المغازي فهمًا شاملاً، ومن خلال استعراضنا ما تيسر لنا من بقايا مؤلفه الذي يحمل ذلك العنوان (المغازي)، تبين لنا أنه يغطي فترة السيرة النبوية كلها، بل يتقدمها إلى شيء من الأوضاع الدينية السابقة على بعثة الرسول ﷺ، وتمتد- بعد وفاة الرسول- لتشمل بيعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه خليفة للمسلمين. لقد تعرضت رواياته لزيد بن عمرو بن نُفَيل الذي كان على الحنيفية (بقايا دين إبراهيم عليه السلام)، ويرفض الأكل من ذبائح الجاهلية التي تذبح للأصنام، وكذلك مما لم يُذْكر اسم الله عليه[5]. وفي فترة الرسالة تناول العصر المكي بدءًا بالوحي، ومرورًا بالحديث عن المسلمين الأوائل، وهجرتهم إلى الحبشة، ومعاناة الرسول على أيدي المشركين، وأحداث المقاطعة الاقتصادية، ودعوة القبائل الأخرى إلى الإسلام ومنها: ثقيف بالطائف، إلى أن أثمرت تلك الجهود ثمرتها المرجوة مع أنصار المدينة (الأوس، والخزرج). وبعدها تعرض للهجرة إلى المدينة، والغزوات المختلفة التي خاضها المسلمون بها ضد المشركين واليهود حتى فتح مكة، وما تلاه من غزوات حنين والطائف وغيرها، إلى العام العاشر الهجري وحجة الوداع، ووفاة الرسول ﷺ، ومبايعة المسلمين أبا بكر خليفة من بعده. ويلاحظ أن هناك روايات لها علاقة بتاريخ الراشدين، ولا ندري إذا كان لها وللأمويين كتاب مستقل أم لا.

---

(١) تاريخ الطبري ٤ / ٤٥٣.
(٢) السابق ٤ / ٤٧٦.
(٣) السابق ٦ / ٤٦٤-٤٦٥.
(٤) راجع: (المغازي الأولى ومؤلفوها) ليوسف هورفتس (ترجمة: د. حسين نصار) ص٧١-٧٣.
(٥) طبقات ابن سعد (ط. دار الكتب العلمية) ج٣ ص٢٩١.

وقد تكون جزءًا من (المغازي)، على اعتبار أنه واصل الحديث عن جهاد المسلمين في الداخل والخارج؛ لتطهير الصف المسلم، والقيام بالفتوحات الخارجية.

يعتمد موسى بن عقبة اعتمادًا كبيرًا على الزهري في نقل روايات كتابه، وكذلك ينقل كثيرًا عن (مغازي عروة بن الزبير). ويلاحظ أن مضمون رواياته كثيرًا ما يتفق مع رواية (ابن لهيعة، عن أبي الأسود، عن عروة)[1] ؛ لأن الزهري- وهو مصدر أساسي لموسى- يعتمد هو الآخر على عروة في (مغازيه).

ولا يمنع هذا من استقاء موسى بعض مادته التاريخية من مصادر أخرى، تتلاءم مع موضوع هذه الروايات، فهو ينقل عن سالم بن عبدالله بن عمر ما يتصل بحرص عبدالله بن عمر على الصلاة في أماكن معينة بين مكة والمدينة في الطريق إلى الحج، رأى رسول الله ﷺ يصلي فيها. وهنا يعتمد موسى على مورد آخر جديد هو (المشاهدة، والمعاينة)؛ لأنه رأى سالمًا يقوم بما كان والده عبد الله يقوم به[2] . وكذلك روي عن سعد بن إبراهيم ما يتصل بجده عبدالرحمن بن عوف حول موقفه المؤيد لمبايعة الصديق بالخلافة مع بيان موقف الآخرين من أمثال: الزبير بن العوام، وعلي بن أبي طالب[3] . وكذلك يروي عن جده لأمه (أبي حبيبة) ما يتصل باستدعاء خالد بن عبدالله القسري له،

---

(١) راجع الروايات الواردة في (البداية والنهاية، ط. دار الريان) ج٣ ص١٨١، ١٩٤، ٣٠١ .

(٢) وفيها يُصدّر متن الرواية بقوله: (رأيت سالم بن عبدالله يتحرى أماكن من الطريق، فيصلى فيها). (المصدر السابق ٥ / ١٣٤). وتجدر الإشارة إلى ورود هذه الرواية أيضًا عند البخاري- وإليه أشار ابن كثير- في (صحيحه، كتاب الصلاة، باب المساجد التي على طرق المدينة، والمواضع التي صلّى فيها النبي) ج١ ص٢٠٧ (رقم ١٤٠).

(٣) فعبد الرحمن بن عوف كان مع عمر أثناء مبايعة الصديق، والصديق اعتذر عن عدم إشراك المهاجرين في المشورة، وبيّن أنه ما حرص على الإمارة أبدًا. وعلي والزبير وجدا في أنفسهما لعدم استشارتهما مع اعترافهما بفضل أبي بكر، وأنه أحق الناس بالخلافة. وفي النهاية رضي الجميع وبايع. (البداية والنهاية، ط. دار الريان) ٦ / ٣٠٦ .

(٤) حدث إسماعيل بن إبراهيم عن موسى بن عقبة عن أبي حبيبة: أنه اعتمر، فنزل دور بني أسد في منازل الزبير، فإذا بالعيون تخبر والي مكة خالد بن عبدالله القسري، فإذا به يستدعيه على عجل.=

عندما ظن أنه شق عصا طاعة بني أمية[٤] . ويلاحظ- أخيرًا- أن أسانيد روايات موسى غير كاملة، وأعتقد أنه كان حريصًا على إيرادها كذلك، لكن ابن إسحاق الذي اقتبس منه كثيرًا لم يكن يذكرها اختصارًا، ويكتفي - غالبًا- بقول: قال موسى بن عقبة، وذكر موسى في (مغازيه).

يغلب على مرويات موسى طابع الاختصار، وهو مع اختصاره هذا يأتي- أحيانًا- بمعلومات ليست في روايات الآخرين المطولة[١] . وغالبًا ما كان ابن كثير يقارن بين روايته ورواية محمد بن إسحاق، ويصف الأخيرة بأنها أكثر بسطًا[٢] . وفي حالات نادرة كان موسى بن عقبة يفصل القول، فتطول روايته عن رواية ابن إسحاق[٣] . وقد يهتم بالأمر اهتمامًا فائقًا، فيذكر النص الوارد فيه بنصه وحروفه[٤] .

اهتم موسى بن عقبة بـ (التوقيت). ومن نماذجه الدقيقة الصحيحة: وفاة الرسول ﷺ يوم الاثنين في السنة الحادية عشرة للهجرة، ودفن ليلة الأربعاء[٥] . ويلاحظ أنه لم يحدد في أي يوم من أيام شهر ربيع الأول؛

= فعلم منه أنه من أهل المدينة، فسأله: لمَ نزلتَ في منازل المخالف للطاعة (لعله يقصد عبدالله بن الزبير)؟، فبيّن له أن يستريح يومًا أو بعض يوم، ثم يرحل، فهو لا يعادي بني أمية، فسمح له الوالي بالمقام. (تاريخ الطبري ٦ / ٤٦٤-٤٦٥).

(١) كما في روايته من دعوة الرسول ﷺ لأهل الطائف، لم يذكر فيها دعاء الرسول المشهور عند عودته حزينًا، لكنه زاد معلومات عن وقوف السفهاء والصبيان صفين يضربون الرسول بالحجارة، ويلحقون به الأذى والضرر، وأضاف- أيضًا- أن الرسول عمد إلى ظل نخلة وهو مكروب، وقد كره اللجوء إلى حائط (بستان) لعتبة وشيبة ابني ربيعة؛ لعداوتهما لله ولرسوله. (البداية والنهاية، ط. دار الريان) ج٣ ص١٣٤ .

(٢) مثل: الرواية التي تتناول والد النجاشي في الحبشة، وكيف خانه أخوه؛ لئلا يصل ابنه النجاشي إلى ملك الحبشة. (المصدر السابق ٣ / ٧٣-٧٤).

(٣) كما في قصة أبي خيثمة الصحابي الذي كاد يتخلف عن غزوة تبوك، ثم لحق برسول الله ﷺ، وإن خالفت رواية ابن إسحاق لمّا ذكرتْ أن خروج الرسول لتبوك كان في الخريف! (السابق ٥ / ٨).

(٤) راجع وثيقة نقلها في كتابه بنصها، وهي الرسالة التي وجهها النبي ﷺ إلى المنذر بن ساوى بالبحرين. (فتوح البلدان للبلاذري، ط. النهضة المصرية بتحقيق د. المنجد) ص ٩٨ .

(٥) البداية والنهاية (دار الريان) ٥ / ٢٣٧ .

خروجًا من الخلاف فيما يبدو. وبلغ عمر رسول الله ﷺ ثلاثًا وستين سنة[1]. لكن الملاحظ أن موسى بن عقبة لم يحالفه التوفيق في تحديد مواقيت عدة أحداث وردت في مروياته، منها: زعمه أن هجرة الحبشة الأولى كانت حين دخل أبو طالب ومن حالفه مع رسول الله ﷺ إلى الشِّعْب (أي: عند الحصار الاقتصادي). وفي هذا نظر كما يقول ابن كثير[2]. فالهجرة الأولى كانت قبل إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أي: قبل الحصار الاقتصادي بسنة تقريبًا؛ لأن عمر أسلم في ذي الحجة من العام السادس للبعثة[3]، والحصار كان في العام السابع واستمر حتى العام العاشر كما هو معلوم[4]. وزعم موسى أن جعفر بن أبي طالب هاجر إلى الحبشة في الهجرة الثانية بعد عودة من خرج إليها أولاً، ظانّين أن ما سمعوه عن إسلام قريش صحيح. فلما تبينوا كذب ذلك عاد بعضهم، وهاجر معهم آخرون منهم: جعفر. والصواب أن جعفرًا هاجر الهجرة الأولى، وهو الذي تصدى للحديث نيابة عن المسلمين بين يدي النجاشي لما حاول المشركون الإيقاع بين المسلمين والنجاشي، ولعله هاجر الهجرة الأولى - ضمن فوج ثان- كان المقدّم عليهم، كما يذكر ابن كثير[5].

ذكر موسى بن عقبة: أن غزوة بدر الآخرة في شهر شعبان من السنة الثالثة للهجرة. والصواب: ما ذكره ابن إسحاق أنها كانت في شعبان من السنة الرابعة للهجرة؛ لأن المسلمين والمشركين تواعدوا عليها من أحد، وكانت أحد في شوال سنة ثلاث من الهجرة[6].

روى موسى بن عقبة عن الزهري: أن وقعة الأحزاب في شوال من السنة

---

(١) البداية والنهاية (دار الريان) ٥ / ٢٢٦.
(٢) السابق ٣ / ٦٥.
(٣) طبقات ابن سعد (دار الكتب العلمية) ٣ / ٢٠٤.
(٤) البداية والنهاية (ط. دار الريان) ج٣ ص٩٦.
(٥) السابق ٣ / ٦٥.
(٦) السابق ٤ / ٩١.

الرابعة. والصواب- كما يرى ابن كثير- أنها كانت في السنة الخامسة للهجرة، فهي- كما صرح الزهري- بعد أحد بعامين، وميقات أحد لا خلاف عليه. ويضاف إلى ذلك ما يراه ابن كثير من عدم معقولية رجوع قريش بقيادة أبي سفيان في بدر الآخرة شهر شعبان في العام الرابع؛ لجدب أصابهم ذلك العام، ثم يأتي إلى المدينة بعدها بشهرين، إنما المنطقي أن يعودوا في العام التالي بعد تحسن أحوالهم[1]. وكذلك أخطأ موسى عندما ذكر أن الرسول ﷺ لما رجع من الحديبية مكث عشرين يومًا أو قريبًا من ذلك، ثم خرج إلى خيبر، فافتتحها سنة ست من الهجرة. والصحيح أنه رجع من الحديبية فأقام شهر ذي الحجة وبعض المحرم، ثم خرج في بقية المحرم إلى خيبر، فيكون فتح خيبر أول السنة السابعة من الهجرة[2]. ووقعة الجسر كانت في السنة الثالثة عشرة لا الرابعة عشرة كما قال موسى بن عقبة[3].

مدى حضور شخصية موسى بن عقبة: لم تظهر شخصية موسى - في ضوء ما بقي من مروياته- إلا نادرًا، كما حدث في عمرة القضية، حيث أراد النبي ﷺ البقاء لبعض الوقت بعد الأيام الثلاثة المحددة إلى أن يقيم وليمة عرس السيدة ميمونة. وعلل موسى ذلك بأن هدف الرسول ﷺ تأليف مشركي مكة، وتليين قلوبهم تجاهه وتجاه الإسلام والمسلمين، لكنهم أصروا على خروجه، فخرج[4].

وعلّق موسى على رفض القبائل العربية- في المواسم المختلفة- الاستجابة لدعوة الإسلام، أو حتى مجرد حماية شخص الرسول ﷺ؛ ليبلغ دعوة ربه لديهم، فقال: «وكان ذلك مما ذَخَره الله للأنصار، وأكرمهم به»[5]. أي:

---

(١) البداية والنهاية (دار الريان) ٤ / ٩٥.
(٢) السابق ٤ / ١٨٣.
(٣) السابق ٧ / ٢٨.
(٤) السابق ٤ / ٢٣٤.
(٥) السابق ٣ / ١٣٨.

غلّق الله قلوب القبائل العربية؛ لأنه ادخر ذلك الخير والشرف العظيم للأنصار من الأوس والخزرج في الوقت الذي حدده الله تعالى. وقد يذكر موسى أكثر من رأى في موضوع واحد، دون أن يكون له قدرة على الاختيار والترجيح، كما هو الحال بخصوص أرض الغلامين اليتيمين، التي أقيم المسجد النبوي عليها، فقال: إن أسعد بن زرارة عوضهما نخلاً له. قال: وقيل: اشتراها منهما رسول الله ﷺ[1].

القدرة على رصد بعض الظواهر الاجتماعية: ونكتفي- في هذا الصدد- بعرض نموذجين من نماذج النساء في معسكر الكفر ومعسكر الإيمان في عصر الرسالة: الأول: موقف نساء قريش عندما تحققن خبر هزيمة القوم المنكرة في بدر، حيث قطّعت النساء شعورهن، وعُقرت خيول كثيرة ورواحل[2]. فهو الجزع الذي يدل على أنهن لا يحكم عواطفهن غرض سامٍ ولا هدف غال، يحملهن على الصبر والاحتساب. وفي المقابل نموذج ثان لحاضنة الرسول أم أيمن قاعدة تبكي عقيب وفاة رسول الله ﷺ. فلما سئلت عن سر بكائها، ذكرت بلسان الإيمان وهي في غاية التعقل والاتزان: لا أبكي رسول الله، لقد أدخله الله جنته، وأراحه من نَصَب الدنيا، ولكني أبكي انقطاع الوحي من السماء[3].

ثالثًا: محمد بن إسحاق بن يَسار المدني:

يكنى بـ (أبي عبدالله)، أو بـ (أبي بكر). كان جده يسار ممن وقع في أيدي المسلمين من سبي عين التمر[4]، وهو أول سبي يقدم المدينة من العراق. وكان جده مولى قيس بن مَخْرَمة بن عبد المطلب بن عبد مناف؛ ولذلك عُرف ابن إسحاق بـ (المطلبي). أقام محمد بالمدينة، ونشأ بها، وتلقى على أيدي

---

(١) البداية والنهاية (دار الريان) ٣ / ٢١٣.

(٢) السابق ٣ / ٣٠٨.

(٣) السابق ٥ / ٢٤٠.

(٤) بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة، يُجلب منها التمر إلى سائر البلاد، وكانت على طرف الصحراء. افتتحها المسلمون أيام أبي بكر على يد خالد بن الوليد سنة ١٢هـ/ ٦٣٣م. (معجم البلدان لياقوت٤ / ١٩٩).

علمائها، فروي عن عاصم بن عمر بن قتادة، والزهري، وأبيه إسحاق بن يسار، ومحمد بن الحارث التَّيميّ، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، وغيرهم من علماء الحديث والسِّيَر والمغازي.

لم يكتف محمد بن إسحاق بالتلقي على علماء المدينة، وإنما خرج إلى الأمصار الإسلامية المختلفة يستكمل علومه ومعارفه بالتتلمذ على أيدي أعلامها، ونشر علمه بها. فخرج إلى مصر، حيث قدم الإسكندرية سنة ١١٥هـ/ ٧٣٣م، وروى عن جماعة من علماء مصر أحاديث ومرويات تاريخية لم يروها عنهم غيره. فروى عن يزيد بن أبي حبيب، وعُبيد الله بن أبي جعفر، وعُبيد الله بن المغيرة. وكذلك روى عنه بها يزيد، وقيس بن أبي يزيد[1]. وكذلك رحل ابن إسحاق إلى الكوفة، والجزيرة، والرَّي، وبغداد. ومن تلاميذ ابن إسحاق: إبراهيم بن سعد، وسفيان بن عيينة، وسفيان الثوري، وزياد بن عبدالله البكَّائي، وسلمة بن الفضل الرازي، ويونس بن بُكير. توفي ببغداد سنة ١٥١هـ/ ٧٦٨م[2].

مكانته العلمية، ومؤلفاته:

انقسم علماء الجرح والتعديل في الحكم على محمد بن إسحاق ما بين مُعَدّل ومُجَرّح[3]، ولسنا بصدد الحكم عليه محدّثًا، لكن الذي يعنينا إمامته في التاريخ، التي يكاد يُجمع عليها العلماء. سئل الزهري عن مغازي ابن إسحاق، فقال: أعلم الناس بها. وقال عنه المؤرخ عاصم بن عمر بن قتادةالمدني: لا يزال

(١) تاريخ الغرباء، لابن يونس المصري (طبعة دار الكتب العلمية بتحقيقي) ص ١٩٢ (ترجمة رقم ٤٩٤)، وسير أعلام النبلاء ٧ / ٤٧-٤٨. وقد حُرّف التاريخ المذكور إلى سنة ١٩٩هـ في (تهذيب التهذيب) لابن حجر ٩ / ٣٩. وهذا تحريف بيّن؛ لأن ابن إسحاق توفي سنة ١٥١هـ كما سيأتي لاحقًا.

(٢) راجع ترجمته في: (طبقات ابن سعد، ط. دار الكتب العلمية ج٥ ص٤٥٠-٤٥١، ٧ / ٢٣٣، ومعجم الأدباء لياقوت، ط. دار الفكر ببيروت ج١٨ ص ٥-٨، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي، ط. دار الكتب العلمية ج١ ص٢١٤-٢٣٤، ووفيات الأعيان لابن خلكان ج٤ ص٢٧٦- ٢٧٧، وتهذيب التهذيب ٩ / ٣٤-٤٠).

(٣) راجع تفاصيل الخلاف في (المصدر السابق ٩ / ٣٤ وما بعدها).

الناس في علم ما بقي ابن إسحاق[1] . ومن بعدهما قال الإمام الشافعي: من أراد أن يتبحر في المغازي، فهو عيال على ابن إسحاق[2] . وقال الطبري عنه: من أهل العلم بمغازي رسول الله، وأيام العرب، وأخبارهم، وأنسابهم، ورواية لأشعارهم، كثير الحديث، غزير العلم، ثقة، مقدَّم في العلم بكل ذلك[3] .

هذا، وقد علل البعض نقد الإمام مالك له؛ لأنه كان يتتبع غزوات النبي من أولاد اليهود الذي أسلموا، وحفظوا قصة خيبر، وغيرها من غير أن يحتج بهم[4] . وكذلك ما كان ينقله عنهم من روايات في (بدء الخلق)، لكن الرجل كان ينقل ذلك من باب العلم بالشيء، وإثبات ما سمع من روايات في موضوع واحد من مصادر مختلفة، منها: روايات أهل العلم الأول (أهل الكتاب). وقد دافع الإمام الذهبي عن ابن إسحاق، وعَدّ هجوم البعض عليه من قبيل التشنيع، وقال: لعله نقل عن أهل الذمة مترخصًا[5] . وإذا انتقلنا إلى الإمام المحدّث المفسر المؤرخ ابن كثير، ألفيناه ينقل عن ابن إسحاق في مواضع كثيرة من كتابه، بل هو مصدره الرئيسي الذي يعتمد عليه في أخبار ما قبل الإسلام، والمغازي والسِّيَر، وكثيرًا ما يوافقه في معالجاته لموضوعات السيرة وترتيب أحداثها[6] ، ويكثر من الثناء عليه، ويَعُدُه إمام المغازي غير مُدَافَع[7] .

من أقدم العلماء الذين أشاروا إلى مؤلفات ابن إسحاق في التاريخ ابنُ النديم، حيث ذكر أن من كتب ابن إسحاق: كتاب (الخلفاء) رواه عنه الأموي، وكتاب (السيرة، والمبتدأ، والمغازي) رواه عنه إبراهيم بن سعد، ومحمد بن عبدالله بن نُمير النفيلي[8] . والحق أن الكتاب الأخير ينقسم على الراجح عدة

---

(١) سير أعلام النبلاء ٧ / ٣٦، وتهذيب التهذيب ٩ / ٣٦ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٧ / ٣٦، والبداية والنهاية (ط. دار الريان) ٣ / ٩٣ .

(٣) المنتخب من كتاب ذيل المُذَيّل للطبري (ط. دار المعارف بالقاهرة) ص ٦٥٤ .

(٤) تهذيب التهذيب ٩ / ٣٩ - ٤٠ .

(٥) أي: بحديث: (حدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج). (سير أعلام النبلاء ٧ / ٥٣).

(٦) البداية والنهاية (ط. دار الريان) ٣ / ٧٣-٧٤، ٩٣ .

(٧) المصدر السابق ٤ / ١٠، ٦٦، ١٥١ .

(٨) الفهرست لابن النديم (ط. دار المعرفة- بيروت) ص ١٣٦ . وعنه نقل ياقوت في (معجم الأدباء ١٨ / ٨).

أقسام: أولها- المبتدأ: وهو يتناول بدء الخلق، وقصص الأنبياء. وثانيها- المبعث: ولعله تناول فيه نسب النبي وبعثته، وجهاده في المرحلة المكية. وثالثها- المغازي، وهو الذي يختص بحياة الرسول ﷺ في المدينة حتى وفاته[1]. وتجدر الإشارة إلى أن كتاب المغازي- وهو ما غلب على اسم كتاب ابن إسحاق- ليس بين أيدينا اليوم مطبوعًا على صورته الكاملة، وإنما توجد منه نسخ مخطوطة، لم تنشر كاملة على حد علمي حتى الآن[2]. ومن أشهر من روى مغازي ابن إسحاق يونس بن بكير[3]، وزياد بن عبدالله البكائي[4] الذي يعد من أشهر من روى السيرة النبوية، وعنه روى عبد الملك بن هشام[5] الذي قام بتهذيب سيرة ابن إسحاق والاختصار منها وفق منهج معين ارتضاه لنفسه[6]. وقد نالت سيرة

(١) راجع: تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٢ / ١٢، وتاريخ التراث العربي لسزكين ج١ ص ٤٦٠ وبعدها، والتاريخ العربي والمؤرخون لشاكر مصطفى ١ / ١٦١.

(٢) راجع ذلك في ترجمة (ابن إسحاق) في (تاريخ التراث العربي) لسزكين ١ / ٤٦٠ وبعدها. وأشار د. شاكر مصطفى إلى وجود نسخة مخطوطة من سيرة ابن إسحاق في المغرب يقوم بتحقيقها د. عبدالعزيز الدوري. (التاريخ العربي والمؤرخون) ١ / ١٦٠ (هامش ٤). وللأسف لا ندري شيئًا عن المخطوطة المذكورة. وتجدر الإشارة إلى وجود نشرة للدكتور محمد حميدالله لقطعة مخطوطة مغربية بعنوان: (سيرة ابن إسحاق المسماة بكتاب المبتدأ، والمبعث، والمغازي)، وتبدأ برؤيا عبدالمطلب عن حفر بئر زمزم، وتزوج عبدالله والد الرسول، ومولده حتى رعاية حليمة مرضعته له. ويلاحظ اضطراب الترتيب فيها، حيث يأتي بعد ذلك حديث عن مقتل تبع، وحديث الفيل، ثم يتناول بعد ذلك وفاة السيدة آمنة، ويسير دون نظام واضح، ويتحدث عن بناء الكعبة بعد الحديث عن (إسلام سلمان الفارسي)، ثم يعود لتناول بعض أحداث العصر المكي. وفي العصر المدني بدأ بالحديث عن أسرى بدر، وغزوة السويق، منتهيًا بغزوة أحد. وكنا نأمل أن يُعاد ترتيب أوراق هذا المخطوط، ويقارن بغيره من النسخ الجيدة الكاملة إن وجدت؛ كي يخرج هذا العمل إلى النور بصورة لائقة غير التي بين أيدينا الآن.

(٣) توفى سنة ١٩٩هـ/ ٨١٤م. (ترجمته في تهذيب التهذيب ١١ / ٣٨٢-٣٨٣).

(٤) وثقه ابن معين فيما ينقله من ابن إسحاق. توفى سنة ١٨٣هـ/ ٧٩٩م. (المصدر السابق ٣ / ٣٢٣-٣٢٤).

(٥) توفى سنة ٢١٨هـ/ ٨٣٣م. (راجع ترجمته في وفيات الأعيان) ج٣ ص١٧٧.

(٦) حدد ابن هشام منهجه في الاختصار، فذكر أنه سيقتصر على ذكر شيء من نسب رسول الله ﷺ وأجداده الذين يصل نسبهم إلى إسماعيل بن إبراهيم. وفي سيرة الرسول ﷺ سيدع ما لا ذكر للرسول فيه، وما ليس له علاقة بالقرآن من الأحداث التي لم ينزل فيها قرآن، وليست سببًا في نزوله، وليست تفسيرًا له، ولا شاهدة عليه. وكذلك سيقوم بحذف الأشعار المجهولة لأهل العلم، وكذلك الأمور الشنيعة، وما يسوء ذكره بعض الناس، وكذلك ما لم يُجِزْ له البكائي روايته (سيرة ابن هشام ١ / ٤).

ابن هشام شهرة واسعة طبقت الآفاق، وغطّتْ على عمل ابن إسحاق الأصلي، بحيث اقترن اسم ابن هشام بالسيرة النبوية، ونسي الناس صاحب السيرة الحقيقي في ظل غياب كتابه. أما كتاب (تاريخ الخلفاء) فهو في عداد الكتب الضائعة من تراثنا التاريخي، وبقيت منه بعض النصوص في (تاريخ الطبري) وغيره، ويرى البعض أنه يعالج تاريخ الراشدين والأمويين. ويذكر له باحث آخر كتابًا في (الفتوح) يرى أنه أصل ما كتبه الواقدي في هذا الموضوع[1].

***

(١) راجع ما يتصل بذلك في ترجمة ابن إسحاق لدى د. سزكين في (تاريخ التراث العربي) ١ / ٤٦٠-٤٦٣.

دراسة كتاب (السيرة النبوية) لابن إسحاق[1]

١ - المحتوى:[2]

بدأ ابن إسحاق بسرد نسب النبي الزكي، ثم ذكر عمر إسماعيل، وروى حديثًا يوصي بأهل مصر؛ لأن هاجر أم إسماعيل منهم. وذكر نسب عدنان، وقضاعة، وتناول النصرانية ببلاد اليمن، وحادثة الفيل، وعبدالمطلب بن هاشم جد النبي، وحفر بئر زمزم، وما كان في الجاهلية من ظروف أدت إلى (حلف الفضول). وبعد هذه المقدمة لما كان قبل ميلاد الرسول ﷺ، تناول حياة الرسول: الميلاد - الرضاع- وفاة الأم والجد- كفالة العلم- دور الرسول في وضع الحجر الأسود بالكعبة... إلخ.

---

(١) ظهرت طبعة جديدة بعنوان: (السيرة النبوية) لابن إسحاق، صادرة عن (قطاع الثقافة) بـ (أخبار اليوم) في مجلدين سنة ١٩٩٨م، بتحقيق: طه عبد الرءوف سعد، وبدوي طه بدوي. وقد ذكر المحققان في مقدمة المجلد الأول ص ٩: جمعنا سيرة ابن إسحاق من المخطوطات الناقصة التي وقعت لنا، وأكملناها من بطون بعض الكتب، وما لم نجده أخذناه من سيرة ابن هشام التي رواها عن ابن إسحاق. أما المجلد الثاني، فبدأ بـ (غزوة حمراء الأسد إلى رثاء حسان بن ثابت للرسول ﷺ)، وهو - كما ورد في مقدمته ص ٣ - كله مأخوذ من السيرة النبوية لابن هشام. ويعني ما تقدم أن المجلد الأول خليط من المخطوطات، والمادة المتبقية في المصادر المتأخرة، فليس هو سيرة ابن إسحاق على نحو دقيق. لكننا نلاحظ أن هذه الطبعة أوفى من طبعة (حميد الله)، وتسير على نسق وترتيب سيرة ابن هشام دون تضارب ولا اضطراب، وإن أشبهتها في بعض العناوين والموضوعات. وانتهى المجلد الأول عند موضوع (ما نزل من القرآن في النهي عن المُثْلة). فهو تال لغزوة أُحد. وعلى كل، فيُحسب للمحققَيْن ضبط النص، والشرح في الحواشي. لكننا لا نطمئن إلى دقة النصوص؛ إذ تخلو الحواشي من المقابلة بين النسخ، كما تخلو من الإشارات الواضحة إلى المواضع الساقطة من المخطوطات، وكيف تم استكمالها، وعلى أي المصادر اعتمدا، ووفق أي منهج تم ذلك.

(٢) أعتمد في دراستي لهذه السيرة على كافة المواضع التي رويت في (سيرة ابن هشام) مصدرة بـ (قال ابن إسحاق). وحسنًا فعل ابن هشام حينما فصل جهده عن جهد ابن إسحاق، فصدّر اسمه في بداية النصوص أو التعليقات، أو الإضافات التي أتى بها، ووضع اسم صاحب السيرة الأصلي أمام الروايات التي وردت بكتابه. ومن هنا تنصبّ دراستي على النصوص المنسوبة إلى ابن إسحاق، فهي التي نطمئن إليها من خلال الراوي الثقة ابن هشام (ط٢ - مصطفى الحلبي ١٩٥٥م)، وابتداء من هنا ستكون إحالاتي في الحواشي على (سيرة ابن إسحاق).

مبعث النبي ﷺ ودعوته: تناول مقدمات الوحي، ونزوله، والمسلمين الأوائل كخديجة، وأبي بكر، وغيرهما. وكذلك تعرض للدعوة والجهر بها بعد ثلاث سنوات، ومواقف المشركين منها. وتعرض لإسلام حمزة رضي الله عنه وأحداث هجرة الحبشة الأولى، وإسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه. ثم تناول أحداث المقاطعة الاقتصادية، وما لحق الرسول ﷺ من أذى بعد موت زوجه خديجة، وعمه أبي طالب. وسرد رحلتي الإسراء والمعراج، ودعوة الرسول ﷺ لأهل الطائف، وللقبائل العربية الأخرى في المواسم المختلفة، حتى لقي أهل يثرب من الأوس والخزرج، وبايعوه بيعتي العقبة الأولى والثانية. ثم ذكر نماذج من هجرة الصحابة إلى المدينة قبل الرسول، ثم هجرته ﷺ وصاحبه أبي بكر رضي الله عنه، وتعرض ابن إسحاق لأبرز أعمال الرسول في المدينة من بناء المسجد، وعقد معاهدة المدينة، والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار. وسرد لنا ابن إسحاق أهم السرايا والبعوث والغزوات الصغيرة التي مهد بها الرسول لغزوة بدر الكبرى. وانتهى المجلد الأول بتناول شهداء بدر، وقتلى المشركين في هذه المعركة الفاصلة.

وفي المجلد الثاني: تناول ابن إسحاق أسرى قريش في بدر، وغزوة بني قينقاع ضد اليهود، ومقتل كعب بن الأشرف اليهودي، وغزوة أُحُد، وحمراء الأسد، ويوم الرجيع، وبئر معونة، وإجلاء بني النضير من اليهود، وغزوة ذات الرقاع، والخندق، وبني قريظه اليهود، وإسلام عمرو بن العاص، وخالد بن الوليد، وصلح الحديبية، وموقعة خيبر ضد اليهود، وغزوة مؤتة، وفتح مكة، وغزوة حنين والطائف، وتبوك. ثم عرض لحج أبي بكر بالمسلمين في العام التاسع الهجري، ومقدم الوفود على رسول الله ﷺ بالمدينة تعلن إسلام القبائل العربية بالجزيرة العربية، وخروج الأمراء والعمال لجمع الصدقات، وحجة الوداع في العام العاشر الهجري، وأمر الرسول بإرسال بعث أسامة بن زيد إلى الروم، ومرض الرسول ووفاته، وما صاحب خبر وفاته من اضطراب شديد، ومبايعة أبي بكر الصديق في سقيفة بني ساعدة، وجهاز رسول الله ودفنه، ورثاء حسان بن ثابت للرسول ﷺ.

٢- **الموارد**: اهتم ابن إسحاق بتوثيق مروياته، وإثبات المصادر المختلفة التي نقل عنها الأحداث، خاصة ما يتصل برسول الله ﷺ من أقوال، وأفعال. وقد صرّح بذلك الاهتمام قبل أن يسوق أول خطبة خطبها رسول الله بالمدينة، فقال: نعوذ بالله أن نقول على رسول الله ما لم يقل[١]. وكرر ذلك قبل الحديث عن المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار[٢].

من موارد ابن إسحاق الصريحة: محمد بن مسلم الزهري[٣]، وعبدالله بن أبي بكر[٤]، وهشام بن عروة[٥]، وإسحاق بن يسار[٦]، وصالح بن إبراهيم ابن عبد الرحمن بن عوف[٧]، ويزيد بن رومان[٨]، ويزيد بن أبي حبيب[٩].

ومن صيغ الموارد المجهولة التي استخدمها ابن إسحاق: فيما يذكرون[١٠]، وفيما يزعمون[١١]، وحدثني من أثق به[١٢]، وحدثني بعض أهل العلم[١٣]، وفيما بلغني[١٤]، وحدثني رجل من أسلم كان واعية[١٥]، فهذا حديث الرواة من أهل المدينة عن عمر[١٦]، وزعم بعض أهل الرواية[١٧]، وحدثني بعض آل عياش بن أبي ربيعة[١٨]، وحدثني بعض بني قريظة[١٩]، وذكر لي بعض أهل العلم[٢٠].

ملاحظات على موارد ابن إسحاق:

أ- يكتفي ابن إسحاق- أحيانًا- بذكر المصدر الذي نقل عنه، وقد يأتي

---

(١) سيرة ابن إسحاق ١ / ٥٠٠ (فيما بلغني عن أبي سلمة بن عبد الرحمن).
(٢) المصدر السابق ١ / ٥٠٥ (فيما بلغنا).
(٣) السابق ١ / ١١.
(٤) السابق ١ / ٣٦.
(٥) السابق ١ / ٢٤١، ٤١٦، ٥٨٨، ٢ / ١٨٦.
(٦) السابق ١ / ٤٦٩، ٢ / ٤٩.
(٧) السابق ١ / ١٥٩، ٢ / ٢١٢.
(٨) السابق ٢ / ١٩٠.
(٩) السابق ١ / ١٤٣، ٢٧٦.
(١٠) عن عمر إسماعيل عليه السلام. (السابق ١ / ٥).
(١١) حول نذر فرضه عبد المطلب على نفسه حين حفر زمزم. (السابق ١ / ١٥١).
(١٢) السابق ١ / ٢٤١.
(١٣) السابق ١ / ٢٤٤.
(١٤) السابق ١ / ٢٥٠.
(١٥) السابق ١ / ٢٩١.
(١٦) السابق ١ / ٣٤٣.
(١٧) السابق ١ / ١٩٧.
(١٨) السابق ١ / ٤٧٥.
(١٩) السابق ١ / ٥٦٤.
(٢٠) السابق ٢ / ٦٠.

بالسند كاملاً مع الحرص على ذكر نسب مورده كاملاً[1] ، وقد يستوثق من شخص آخر عن مدى صحة ما سمع[2] .

ب- دقة انتقاء المصدر، بحيث ينتقي من له صلة بالحدث الذي يرويه[3] ، وأحيانًا يطمئننا على وثاقة مصدره، فيشير إلى أنه واعية (حافظ)[4] ، و(كان من أعلم الأنصار)[5] . وقد يصدّر الرواية بمصدرها، وقد يأتي به وسطها[6] ، وقد يذيلها به[7] .

جـ- قد يستخدم ألفاظًا دالة على عدم اليقين (فيما يذكرون، وفيما يزعمون، وزعم)[8] مع روايات ذات مضامين تناسب هذا الشك، وقد يستخدم الألفاظ ذاتها، أو ما يشابهها مع روايات مشهورة صحيحة[9] .

---

(١) مثل: حدثني صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، عن يحيى بن عبدالله بن عبدالرحمن بن سعد بن زرارة الأنصاري، قال: حدثني من شئت من رجال قومي، عن حسان بن ثابت يحدث أنه سمع يهوديًا- وهو ابن سبع سنين- يصرخ بأعلى صوته أن نجم أحمد الذي ولد به قد طلع. (سيرة ابن إسحاق ١ / ١٥٩).

(٢) وتكملة للرواية السابقة سأل ابن إسحاق عبدالرحمن بن حسان بن ثابت عن سن والده عند مقدم الرسول إلى المدينة، فقال: كان ابن ستين سنة. وبذلك استوثق ابن إسحاق من صحة الرواية؛ لأن الرسول ﷺ هاجر وهو ابن ثلاث وخمسين سنة . (المصدر السابق ١ / ١٥٩).

(٣) ينقل عن بعض آل أم كلثوم بنت أبي بكر ما وقع لأبي بكر من أذى، وهو يدافع عن الرسول ﷺ أمام المشركين في مكة (السابق ١ / ٢٩٠). ويروى عن بعض آل عياش بن أبي ربيعة ما يتصل بهجرة عياش، ونجاح قريش في إعادته إلى مكة بالمكر والخديعة. (السابق ١ / ٤٧٥).

(٤) السابق ١ / ٢٩١ .

(٥) السابق ١ / ٤٣٩، ٢ / ٤٤ .

(٦) قال ابن إسحاق: وكان أول من ابتدئ به عبدالمطلب من حفر زمزم- كما حدثني يزيد بن أبي حبيب عن مرثد اليزني... (السابق ١ / ١٤٣).

(٧) كما في رواية إسلام عمر بن الخطاب، حيث ذكر في نهايتها: فهذا حديث الرواة من أهل المدينة عن عمر (السابق ١ / ٣٤٦).

(٨) مثل: زعم لي محمد بن سعيد بن المسيب: أن عبد المطلب جد النبي ﷺ لما سمع شعر ابنته أرْوَى في البكاء عليه وهو في سياق الموت، أشار برأسه: أن هكذا فابكيني. (السابق: ١ / ١٧٣).

(٩) استخدم الزعم في الرواية التي تصف فيها آمنة ما رأته من نور لحظة ميلاد النبي ﷺ (السابق ١ / ١٥٧-١٥٨). وقوله: فيما بلغني في الرواية المطولة عن إسلام عمر رضي الله عنه (السابق ١ / ٣٤٣-٣٤٦).

د- حرص ابن إسحاق على تضمين كتابه بعض الوثائق المهمة، مثل: الرسائل والمعاهدات التي أرسلها النبي ﷺ، أو عقدها مع بعض الأطراف كاليهود وغيرهم، مع ملاحظة سقوط الإسناد من بعض هذه الوثائق على سبيل الاختصار[1]. كذلك استخدم ابن إسحاق طرق الإسناد الجمعي[2]؛ لتحقيق الهدف ذاته، فيقدم لنا مجموعة من الموارد يتلوها بمضمون الروايات المشتركة فيما بينها؛ منعًا لتكرار الأسانيد وذكرها مع كل رواية على حدة. وهذه الطريقة- ولاشك- لا تحقق الدقة الكاملة كالتي تتحقق من خلال نسبة كل نص إلى صاحبه[3].

---

(١) مثل: معاهدة المدينة (سيرة ابن إسحاق ١ / ٥٠١-٥٠٤)، حيث لم يذكر لها سندًا. أما كتابه إلى (يهود خيبر)، فله إسناد ويصل إلى ابن عباس. (السابق ١ / ٥٤٤-٥٤٥). وفي كتابه الذي أرسله مع عمرو بن حزم إلى أهل اليمن سقط السند (السابق ٢ / ٥٩٤-٥٩٦). ويبدو أن الطبري طالع نسخة أخرى من كتاب ابن إسحاق، وردت بها الوثيقة السابقة مع ذكر مصدر ابن إسحاق في نقلها وهو (عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم). (تاريخ الطبري ٣ / ١٢٨- ١٢٩). وقد يسقط السند في غير مواضع الوثائق؛ ويغلب حدوث ذلك في تاريخ ما قبل الإسلام (سيرة ابن إسحاق ١ / ٧، ١٠، ١٥، وغيرها).

(٢) استخدم ابن إسحاق منهجين في الإسناد الجمعي: الأول- قبل ذكر روايات الإسراء والمعراج، حيث قال: كان من الحديث فيما بلغني عن مسراه ﷺ عن ابن مسعود، وأبي سعيد الخدري، وعائشة، ومعاوية، والحسن البصري، والزهري، وقتادة، وغيرهم من أهل العلم، وأم هانئ بنت أبي طالب ما اجتمع في هذا الحديث، كل يحدّث عنه بعض ما ذُكر. (السابق ١ / ٣٩٦). إلا أن ابن إسحاق ساق روايات مجزأة عن عدد غير قليل من هؤلاء الذين تقدم ذكرهم في السند الجمعي، ناسبًا إلى كل منهم ما نقل عنه (السابق ١ / ٣٩٧ وما بعدها). والثاني: استخدم الإسناد الجمعي بمعناه الدقيق، ولم يفصل كل رواية على حدة مصدرة بمن نُقلت عنه. كما في تعريفه بـ (كعب بن الأشرف اليهودي) (السابق ٢ / ٥١)، وكما في تقديمه لأحداث غزوة أحد (السابق ٢ / ٦٠)، وكذلك قبل حديثه عن غزوة تبوك (السابق ٢ / ٥١٦).

(٣) اللهم إلا إذا تحقق صدق كل راو على حدة، ووعى رواية كل راو تمامًا، وتيقن الفروق الدقيقة بينهم، ووجد أنها يصدّق بعضها بعضاً، فالسياق جيد، وإن كان البعض أكثر حفظًا. والحاصل أن تكون كل الرواية عن مجموع الرواة. حينئذ يكون السند الجمعي دقيقًا. كما في رواية البخاري حديث الإفك بسنده إلى ابن شهاب قال: «حدثني عروة بن الزبير، وسعيد بن المسيب، وعلقمة بن وقاص، وعُبيد بن عبدالله بن عتبة بن مسعود عن عائشة، وكلهم حدثني طائفةً من حديثها، وبعض كان أوعى لحديثها من بعض، وأثبتَ له اقتصاصًا (روى الحديث على وجهه)، وقد وَعَيتُ عن كل رجل منهم الحديثَ، الذي حدثني عن عائشة، وبعض حديثهم يصدّق بعضًا، وإن كان بعضه أوعى له من بعض». (صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب حديث الإفك) ج٥ ص٢٥٠ (رقم ١٧١). وراجع تعليق ابن حجر على السند الجمعي فيه، أورده في (فتح الباري) ج٨ ص٤٥٧ .

٣- **الإكثار من ذكر الآيات القرآنية وشروحها، وأبيات الشعر ذات الصلة بالأحداث التاريخية**: من القرآن الذي استشهد به ابن إسحاق على فتور الوحي آيات سورة الضحى مع شرحها[١] . وفي معرض تحدي المشركين- بمساعدة اليهود ضد رسول الله ﷺ- عن طريق طرح أسئلة معينة تأخر الوحي في الرد عليها حتى كثرت أراجيفهم، ثم نزلت سورة الكهف توضح ما اختبروه به[٢] . وكذلك آيات سورة الأنفال، وتفسير ابن إسحاق لها بمناسبة الحديث عن غزوة بدر وأحداثها، وتوزيع الغنائم[٣] .

وبالنسبة للأشعار: فهي كثيرة جداً وتواكب الوقائع والأحداث، ومنها: شعر والد زيد بن حارثة يدعم قصة ابنه زيد في بقائه مع رسول الله ﷺ[٤] ، وشعر أبي قيس بن الأسلت ضد المشركين المعاندين[٥] ، وشعر ضرار بن الخطاب المشرك الذي يحاول فيه الوقيعة بين المهاجرين والأنصار[٦] ، ورد كعب ابن مالك عليه[٧] ، وشعر ابن الزِّبَعْرَي ضد المسلمين في أُحد[٨] ، ورد حسّان ابن ثابت عليه[٩] ، وشعر ابن الزِّبَعْرَي يعاتب عثمان بن طلحة على دخول الإسلام[١٠] ، وبكاء حسان بن ثابت[١١] ، وكعب بن مالك على شهداء مؤتة[١٢]، وأخيراً شعر حسان في رثاء النبي ﷺ بعد وفاته[١٣] .

٤- **الميل إلى ذكر بعض التفاصيل والمعلومات الجيدة، والدقة في الإحصاءات، والتوقيت**:

المطالع لسيرة ابن إسحاق يلاحظ ما فيها من غزارة المادة العلمية، وتفاصيل

---

(١) سيرة ابن إسحاق ١ / ٢٤١- ٢٤٣ .

(٢) المصدر السابق ١ / ٣٢٠، وما بعدها.

(٣) السابق ١ / ٦٦٦ وبعدها. وانظر مدح وثناء المفسر ابن كثير على ابن إسحاق، فقال: أجاد، وأفاد الإمام ابن إسحاق في الكلام على بدر، وما نزل من قرآن فيها في سورة الأنفال. (البداية والنهاية، ط. الريان) ٣ / ٣١٥ .

(٤) سيرة ابن إسحاق ١ / ٢٤٨ .

(٥) المصدر السابق ١ / ٢٨٣ - ٢٨٦ .

(٦) السابق ٢ / ١٣-١٤ .

(٧) السابق ٢ / ١٤-١٥ .

(٨) السابق ٢ / ١٣٦-١٣٧ .

(٩) السابق ٢ / ١٣٧-١٣٨ .

(١٠) السابق ٢ / ٢٧٨ .

(١١) السابق ٢ / ٣٨٣ .

(١٢) السابق ٢ / ٣٨٥ .

(١٣) السابق ٢ / ٦٦٦-٦٧١ .

الأحداث، وطريقة الرجل الجيدة في تنسيقها وعرضها. من ذلك: دقة ابن إسحاق في عمل إحصاءات بأسماء وأنساب مهاجرة الحبشة من كل قبيلة، أو بطن على حدة، وبيان من هاجر وحده، ومن هاجر ومعه زوجته، ومن تزوج هناك، ومن أنجب، وأسماء أولاده. كما قد يذكر المهاجرين من بيوت معينة بالكامل، والمهاجرين من حلفائهم، كل على حدة، ومجموع كل هؤلاء[1]. اهتمامه بذكر معلومات مفصلة عن السيدة خديجة، وهو في معرض الحديث عن زواج الرسول ﷺ منها، فاهتم بالتعريف بنسبها، وأمها، وأم أمها... إلخ، وأولادها من رسول الله، وتوقيت وفياتهم (وهل كان ذلك قبل الإسلام أو بعده؟)[2]. وكذلك ساق معلومات مهمة عن المنافقين، والتعريف بهم في المدينة، وتحالفهم مع اليهود[3]، وكذلك زعماء اليهود الذين تظاهروا بالإسلام نفاقًا[4]. قدم لنا ابن إسحاق قوائم إحصائية دقيقة عمن حضر بدرًا من المسلمين (وتعريفًا دقيقًا بهم وبأنسابهم)[5]، وكذلك شهداء بدر[6]، وقتلاها من المشركين[7].

اهتم ابن إسحاق بتوقيت الأحداث التاريخية وعلى رأسها غزوات الرسول، مثل: توقيت مجيئه إلى المدينة حتى خروجه غازيًا[8]، وتوقيت فراغه من غزوة بدر[9]، ومواقيت غزوة بني النضير[10]، وخيبر[11]، ومؤتة[12]، وفتح مكة[13]، وقدوم وفد ثقيف إلى المدينة[14]، وغيرها.

وأخيرًا، فإنه على الرغم من إسهاب ابن إسحاق، بل استطراده في تتبع

(١) سيرة ابن إسحاق ١ / ٣٢٢ - ٣٣٠.
(٢) المصدر السابق ١ / ١٨٩ - ١٩١.
(٣) السابق ١ / ٥١٩ وبعدها.
(٤) السابق ١ / ٥٢٧ وما بعدها.
(٥) السابق ١ / ٦٧٧ وبعدها.
(٦) السابق ١ / ٧٠٦ وبعدها.
(٧) السابق ١ / ٧٠٨ وبعدها.
(٨) السابق ١ / ٥٩٠.
(٩) السابق ٢ / ٤٣.
(١٠) السابق ٢ / ١٩٠.
(١١) السابق ٢ / ٣٢٨.
(١٢) السابق ٢ / ٣٧٣.
(١٣) السابق ٢ / ٤٣٧.
(١٤) السابق ٢ / ٥٣٧.

بعض الأخبار[1] ، ودقته في التعبير[2] ، وبراعته في التنظيم، إلا إنه تؤخذ عليه هَنات مثل: إغفاله توقيت بعض الأحداث المهمة[3] ، ووضعه عنوانًا غير ملائم لما تحته من أحداث. أما تناوله سقيفة بني ساعدة، وخطبة أبي بكر بعد مبايعته، ثم جهاز رسول الله، ودفنه ﷺ، وظهور ارتداد الناس عن الإسلام[4] ، فإني أعتقد أن هذه الموضوعات- بهذا الترتيب- تحسب لابن إسحاق لا عليه؛ لأنها من مكملات السيرة النبوية، فهي تضعنا على آخر ما كان عليه الأمر بعد وفاة الرسول ﷺ، وبداية المهام الجسام التي تنتظر الخليفة الراشد الجديد في بداية عصر جديد هو امتداد لعصر النبوة المبارك.

٥- **الاهتمام بإبراز بعض الجوانب الحضارية**: يزداد تقديرنا لابن إسحاق عندما نضع أيدينا ونحن نقرأ سيرته على ملامح من حضارة المجتمع الإسلامي في ذلك الوقت المبكر، ندين في تسجيلها والوقوف عليها لقلمه الدقيق، وعرضه الشامل، وفهمه العميق. من ذلك: وجود أبواب للدور في ذلك الوقت، ووجود خلل بها يمكن من بالداخل من رؤية الطارق[5] - وجود طرق ومسالك يسلكها الناس في تنقلاتهم وأسفارهم في تلك الصحارى الشاسعة يعرفها الأدلاء جيدًا[6] - أماكن قضاء الحاجة بالمدينة[7] - وصف سفرة أسماء

---

(١) مثل: تتبعه قيام بيت العباس بن عبدالمطلب عم الرسول ﷺ بسقاية الحجيج إلى زمن ابن إسحاق نفسه (سيرة ابن إسحاق ١ / ١٧٨-١٧٩).

(٢) من أمثلة ذلك قوله: فُشُوّ الإسلام بالمدينة بعدم خلو الدُّور من ذكر رسول الله ﷺ. (السابق ١ / ٤٣٠). هذه العبارة ساقها بعد منصرف عدد من أهل يثرب إلى بلدهم عقب اللقاء الأول مع رسول الله ﷺ، وقبل بيعة العقبة الأولى. فابن إسحاق لم يبالغ ويزعم انتشار الإسلام بالمدينة برجوع هؤلاء، فذلك غير منطقي، وإنما انتشر ذكر اسم الرسول، والتحدث عن الدين الجديد في دور يثرب عقب رجوع هؤلاء، وهذا هو الصحيح.

(٣) هذا العنوان كالآتي: (ذكر من استشهد بأحد من المهاجرين). وذكر تحته شهداء المهاجرين والأنصار معًا. (السابق ١ / ١٢٢ وبعدها).

(٤) السابق ١ / ٦٥٦ - ٦٦٦.

(٥) السابق ١ / ٣٤٦، ٣٥٠.

(٦) السابق ١ / ٣٤٧، ٤٩١ (طريق الرسول ﷺ وهو عائد من دار الأرقم وطرقه التي سلكها في الهجرة إلى المدينة).

(٧) السابق ١ / ٤٥٢-٤٥٣.

بنت أبي بكر، وملابسها، ونطاقها في أحداث الهجرة[1] - مواصفات بيت أبي أيوب الأنصاري الذي أقام به الرسول عقب وصوله إلى المدينة[2] - بناء حوض على قليب بدر، وبناء عريش للقيادة في تلك الغزوة[3] - الطبيبة المسلمة رفيدة ودورها في المعارك التي خاضها المسلمون[4] - دور النساء المسلمات في غزوة خيبر[5] - وظيفة الخارص على أراضي خيبر[6] - التدريب على صناعة المجانيق، وما يعرف بالدبابات في ذلك العصر، واستخدامهما في حصار الطائف، وطرق دفاعية مبتكرة ناجحة استخدمها أهل الطائف ضد المسلمين[7]- الراتب اليومي لأول وال عينه رسول الله ﷺ على مكة بعد فتحها[8] - عدم وجود ديوان جامع للجند زمن الرسول ﷺ[9] - مقدار جزية أهل الكتاب ومقادير الزكاة على المسلمين (على أنعامهم) في كتاب توجه به عمرو بن حزم والي نجران إلى اليمن[10] - عمال الرسول ﷺ وأمراؤه الموفدون لجمع الصدقات من قبائل العرب)[11] .

٦- **مدى حضور شخصية ابن إسحاق في كتابه**: في غمرة الروايات التي يرويها ابن إسحاق ربما لا نجد فرصة لتلمس شخصية واضحة للرجل. ورغم ذلك فلا يخلو من بعض النماذج التي يتدخل فيها بشيء من التعليل، والشرح والتوضيح، مثل: تعليله تسمية المقداد بابن عبد يغوث[12]، وتعليل حب حسان ابن ثابت عثمان بن عفان[13] ، وتعليل نزول العزاب من المهاجرين في دار سعد ابن خيثمة بالمدينة[14]، وتعليل سر نهي الرسول عن قتل أبي البختري[15] في

---

(١) سيرة ابن إسحاق ١ / ٤٨٦ .
(٢) المصدر السابق (١ / ٤٩٨).
(٣) المصدر السابق ١ / ٦٢٠ .
(٤) السابق ٢ / ٢٣٩ .
(٥) السابق ٢ / ٣٤٢ .
(٦) السابق ٢ / ٣٥٤ .
(٧) السابق ٢ / ٤٧٨، ٤٨٣ .
(٨) السابق ٢ / ٥٠٠ (راتب عتاب بن أسيد درهم يوميًا).
(٩) السابق ٢ / ٥٣٢ .
(١٠) السابق ٢ / ٥٨٩ .
(١١) السابق ٢ / ٦٠٠ .
(١٢) السابق ١ / ٣٢٦ .
(١٣) السابق ١ / ٤٧٩ .
(١٤) السابق ١ / ٤٨٠ .
(١٥) السابق ١ / ٦٢٩ - ٦٣٠ .

بدر، وكذلك تعليل إصرار الرسول على خروج المشركين في غزوة أُحُد- رغم الهزيمة المريرة والجراحات الخطيرة- إلى حمراء الأسد لمطاردة المشركين[١] - تعليل حرص الرسول ﷺ على قتل سلاَّم بن أبي الحُقَيْق اليهودي[٢] - واتهام قريش للرسول ﷺ بأنه يعلمه بشر[٣] - وسبب اعتبار بعض الصحابة مهاجرين وأنصاراً في الوقت نفسه[٤] . ومن المواضع التي اهتم بالتعريف بها وشرحها ابن إسحاق بعض الأماكن الجغرافية في طريق الرسول لبني لِحيان[٥] ، وفي العودة من غزوة تبوك[٦] . وثمة مواضع أورد فيها ابن إسحاق أكثر من رواية تاريخية، ولم يقطع فيها برأي، مكتفيًا بقوله: كل ذلك يقال[٧] ، والله أعلم أي ذلك كان[٨] . وقد يرجح رواية أخرى دون ذكر المرجح الذي يستند إليه[٩] .

٧- قضايا تاريخية تثيرها سيرة ابن إسحاق:

رغم الملامح المنهجية العديدة التي لمسناها في تلك المعلومات الغزيرة على مدار سيرة ابن إسحاق، فإنها لا تخلو- أحيانًا قليلة- من بعض روايات، نلمح فيها الطابع الأسطوري الخرافي، كتلك الرواية المنسوبة للجاهلية التي تزعم سماع صوت صادر من جوف عجل ذُبح؛ لتقديمه قربانًا للأوثان يقول: لا إله إلا الله[١٠] ، وكذلك التعريف بذي القرنين الذي لا يخلو من خرافة[١١] .

أما الموضوعات والقضايا التي تحتاج لمزيد من الدراسة وإعادة النظر، فكثيرة منها: محاولة التحديد الواضح لتوقيت هجرتي الحبشة الأولى والثانية[١٢] ، وسر نهي الرسول عن قتل أناس محددين في بدر منهم عمه العباس، هل لأنه

---

(١) سيرة ابن إسحاق ٢ / ١٠١ .
(٢) المصدر السابق٢ / ٢٧٣ - ٢٧٤ .
(٣) المصدر السابق ١ / ٣٩٣ .
(٤) السابق ١ / ٤٦٥ .
(٥) السابق ٢ / ٢٧٩ .
(٦) السابق ٢ / ٥٢٩ .
(٧) السابق ١ / ٤٧٨ .
(٨) السابق ٢ / ٢٠٦ .
(٩) السابق ١ / ٣٣٠، ٣٦٧ (شك في هجرة عمار بن ياسر إلى الحبشة، وترجيح عدم هجرته).
(١٠) السابق ١ / ٢١٠-٢١١ .
(١١) السابق ١ / ٣٠٧ .
(١٢) السابق ١ / ٣٢٣ .

كان مسلمًا يخفي إسلامه، ويقدم للرسول ﷺ معلومات قيمة يرسلها إليه من مكة؟[1] ، وتحقيق مدى صحة انتساب ثعلبة بن حاطب، والحارث بن حاطب للنفاق، وما مدى صحة من يجعلهما ضمن من شهد بدرًا[2] - الأسماء التي سقطت من ابن إسحاق في أسرى قريش في بدر[3] ، ولماذا لم يذكر ابن إسحاق شهداء أحد؟[4] - هل الأسباب التي ذكرها عمر للاعتذار عن عدم التوجه إلى مكة في الحديبية مقنعة؟ وهل هي تتفق مع طبيعة شخصيته وشجاعته؟[5] - هل نفي عثمان بن عفان أبا ذر إلى الرَّبَذة، أو أنه هو الذي اختار المنفى بنفسه؟[6] - هل السنة التاسعة من الهجرة هي توقيت إرسال الرسول ﷺ مبعوثيه إلى ملوك العالم؟ أو أنه أرسلهم مرتين في العام السادس، والتاسع؟[7] - لِمَ لَمْ يذكر ابن إسحاق السيدة مارية زوجة الرسول ضمن حديثه عن زوجاته؟[8] .

رابعًا: محمد بن عمر بن واقد الواقديّ المدني:

ولد الواقدي بالمدينة سنة ١٣٠هـ/ ٧٤٧م، ولقي علماء الحجاز، وروى عنهم، مثل: ابن جريج، ومالك، وعبد الحميد بن جعفر، وأبي معشر المدني. وكذلك تتلمذ على الأوزاعي عالم الشام ومفتيها، والثوري عالم البصرة، ومعمر بن راشد عالم اليمن. روى عنه الشافعي، ومحمد بن سعد، وأبو عُبيد القاسم بن سَلاَّم، وغيرهم. أقام الواقدي بالمدينة نصف قرن من الزمان، ثم رحل إلى بغداد في دَين نزل به سنة ١٨٠هـ/ ٧٩٦م، فقضى يحيى ابن خالد البرمكي دَيْنَه، وقدّمه إلى الخليفة العباسي الشهير هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/ ٧٨٦-٨٠٨م)، فأكرمه وصرف له العطايا. ثم خرج الواقدي

---

(١) راجع عن العباس: سيرة ابن إسحاق ١ / ٤٤١، ٢ / ٣٤٦-٣٤٧، ٤٠٠، ٤٠٢، ٤٠٣.
وبخصوص غيره راجع: السابق ٢ / ٦٢٩ .

(٢) السابق ١ / ٥٢٢ .
(٣) السابق ٢ / ٧-٨ .
(٤) السابق ٢ / ١٢٧ .
(٥) السابق ٢ / ٣١٥ .
(٦) السابق ٢ / ٥٢٤ .
(٧) السابق ٢ / ٦٠٦ .
(٨) السابق ٢ / ٦٤٣ وبعدها .

إلى الشام والرَّقَّة، وعاد إلى بغداد، حتى قدم الخليفة المأمون (١٩٨-٢١٨هـ/ ٨١٣-٨٣٣م) من خُراسان، فولاّه قضاء العسكر، فظل في منصبه، حتى توفى ببغداد في الحادي عشر من ذي الحجة سنة ٢٠٧هـ/ ٨٢٣م[١].

مكانته العلمية، ومؤلَّفاته:

كان الواقدي عالمًا بالمغازي، والسيرة، والفتوح، واختلاف الناس في الحديث والأحكام، واجتماعهم على ما اجتمعوا عليه. وفسّر ذلك في كتب استخرجها، ووضعها، وحدّث بها[٢]. وكان الواقدي بإلمامه بعلوم عصره من الحديث والفقه، كان يدرك أنها علوم لازمة لدراسة التاريخ والسير والمغازي دراسة عميقة. بدأ اهتمامه بالمغازي مبكرًا، حيث رُئي في مسجد المدينة يُدَرس أحد أجزاء كتابه (المغازي)[٣].

من مؤلفاته الكثيرة في مجال التاريخ: كتب الفتوح الإسلامية، مثل: فتوح الشام، ومصر، والجزيرة، وإفريقية، والعراق[٤]. وكتاب الردة والدار. وقد ثبت أن (الرِّدّة) كتاب مستقل يتعلق بحركة المرتدين زمن الصديق[٥]. أما (الدار)، فلعله يتصل بفتنة عثمان، ومقتله بداره. وكذلك يُنسب إليه كتاب غير موجود بعنوان: (الطبقات)، لعله أساس كتاب تلميذه وكاتبه محمد بن سعد، فقد كان الواقدي مهتمًا بتراجم الصحابة وأبنائهم، وتراجم علماء البصرة والكوفة[٦]. وأخيرًا، كتاب (المغازي)، وهو مطبوع منشور بين أيدينا، وهو محل دراستنا، إن شاء الله.

---

(١) راجع ترجمة الواقدي في: (طبقات ابن سعد، ط. دار الكتب العلمية ٥ / ٤٩٣-٤٩٩، والفهرست لابن النديم ص ١٤٤-١٤٥، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٣ / ٣-٢١، ومعجم الأدباء لياقوت ١٨ / ٢٧٧-٢٨٢، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٩ / ٤٥٤ وما بعدها، وتهذيب التهذيب ٩ / ٣٢٣- ٣٢٧).

(٢) طبقات ابن سعد (ط. دار الكتب العلمية) ج٥ ص٤٩٣. (٣) سير أعلام النبلاء ٩ / ٤٦٠.

(٤) راجع: الفهرست لابن النديم ص ١٤٤، ومعجم الأدباء لياقوت ١٨ / ٢٨٢ (فتوح الشام، والعراق). وسوف نبين - فيما بعد- أن بعض هذه الكتب لا تصح نسبتها إليه.

(٥) طبع هذا الكتاب، وسوف ندرسه عما قريب.

(٦) معجم الأدباء ١٨ / ٢٨٢، والمغازي الأولى ومؤلفوها لهوروفتس (من الترجمة العربية) ص ١١٨، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان (من الترجمة العربية) ٢ / ٢١-٢٢.

دراسة كتاب (المغازي) للواقدي[1]

أ- **المحتوى**: يحتوي **المجلد الأول** من الكتاب على ما يأتي: يبدأ بسرايا وغزوات الرسول ﷺ التي أرسلها، أو شارك فيها بنفسه في الفترة الأولى من مقامه بالمدينة ما بين هجرته إليها، وبداية المعارك الكبرى ضد المشركين في (غزوة بدر الكبرى)، فعرض لسرية حمزة بن عبدالمطلب، وغزوة الأبواء، وذي العُشَيْرة، ونخلة. وتناول بالتفصيل غزوة بدر، وبني قينقاع، والسويق، وأُحد، وحمراء الأسد، وبئر معونة، والرَّجيع، وبني النضير، وسرية أبي عتيك إلى أبي رافع، وغزوة ذات الرقاع، ودُومة الجندل، والمُرَيْسيع.

وفي **المجلد الثاني**: ذكر ما كان من أمر ابن أُبَيّ، وعائشة وحادثة الإفك، وغزوة الخندق، وبني قريظة، وغزوة بني لِحْيان، وسرية محمد بن مسلة إلى ذي القَصَّة، وسرية عليّ بن أبي طالب إلى بني سعد بـ (فَدَك)، وسرية عبدالله ابن رَواحَة إلى أُسير بن زارم، وصلح الحديبية، وغزوة خيبر، وشأن فدك، وسرية أبي بكر إلى نجد، وغزوة القضية، وإسلام عمرو بن العاص، وسرية كعب بن عمير إلى ذات أطلاح، وسرية مؤتة، وذات السلاسل، وفتح مكة.

وفي **المجلد الثالث والأخير**: هدم صنم العُزَّى، ومن قُتل من المسلمين يوم الفتح، وغزوة بني جذيمة، وحنين، والطائف، وذكر وفد هوازن، وبعثة الوليد ابن عقبة إلى بني المصطلق، وسرية عليّ إلى الفُلْس، وغزوة تبوك، وغزو أكيدر ابن عبد الملك بدومة الجندل، وسرية عليّ إلى اليمن، وحجة الوداع، وعيادة النبي ﷺ لسعد بن أبي وقاص بعدها، وغزوة أسامة بن زيد مؤتة.

ب- **الموارد**: بدأ الواقدي كتابه بذكر السند العام للكتاب ككل، بمعنى أنه ذكر لنا أسماء أساتذته، الذين نقل عنهم مغازي رسول الله ﷺ، وذلك بطريقة الإسناد الجمعي. وبعد أن انتهى من سرد أسماء موارده التي بلغت

---

(١) أعتمد في دراستي له على الطبعة الثالثة. نشر: عالم الكتب ببيروت ١٩٨٤م. وقد حققها د. مارسدن جونس، وكتب لها مقدمة ضافية. ويقع الكتاب في ثلاثة مجلدات.

خمسة وعشرين مورداً قال: «فكلٌ حدثني من هذا بطائفة، وبعضهم أوعى لحديثه من بعض، وغيرهم قد حدثني أيضًا، فكتبت كل الذي حدثوني قالوا»[1]. ومن الواضح أن الواقدي يلجأ- أحيانًا- في بداية بعض فصول كتابه إلى ذكر مصادر الفصل عن طريق ذكر الإسناد الجمعي، مستخدمًا الفعل (قالوا) في الربط بينها وبين مضمون الرواية. وقد يذكر داخل الفصل- بعد ذلك- أسانيد خاصة لروايات فردية تندرج تحت الإطار العام[2]. وقد عاب على الواقدي المحدثون طريقته تلك، وقالوا له: إنك تجمع الرجال، وتقول: حدثنا فلان وفلان، وتجيء بمتن واحد، فلو حدثتنا بحديث واحد على حدة. قال لهم: ذلك يطول. قالوا له: رضينا. فغاب جمعة، ثم جاء بغزوة أحد في عشرين مجلداً. فقالوا له: رُدَّنا إلى الأمر الأول[3]. إذًا الاختصار، وعدم الإطالة، والتخفيف عن المتلقين دفعه إلى ذلك المنهج، الذي لا يساعدنا- الآن- على التمييز بين الاقتباسات المتعددة المأخوذة عن المصادر المختلفة[4].

من موارد الواقدي: عبد الحميد بن جعفر[5]، ومحمد بن بجاد[6]، وابن أبي حبيبة[7]، ومحمد بن يحيى بن سهل بن أبي حثمة[8]، وصالح بن جعفر[9]، ومعمر بن راشد[10]، وعبد الله بن جعفر[11]، وغيرهم.

ويلاحظ على موارد الواقدي أنها كثيراً ما تأتي- في بداية الأبواب- داخل

---

(١) المغازي للواقدي ١ / ١-٢.
(٢) المصدر السابق ١ / ١٠-١١.
(٣) تاريخ بغداد ٣ / ٧، وسير أعلام النبلاء ٩ / ٤٦٠.
(٤) تاريخ التراث العربي لسزكين ١ / ٤٧١.
(٥) المغازي للواقدي ١ / ٨٨، ٩٩، ١٨٤، ٢ / ٧٤١، ٨٥٥.
(٦) المصدر السابق ١ / ٢٧.
(٧) السابق ١ / ٧١، ٣ / ١٠٢٥.
(٨) السابق ١ / ١٨، ١١٤.
(٩) السابق ٢ / ٤٦٠، ٤٨٥.
(١٠) السابق ١ / ١٨، ٣ / ١٠٧٦، ١٠٨٨.
(١١) السابق ١ / ١٨، ٣ / ٩٢٢، ١١١٨.

سند جمعي، ثم تتلوها الأحداث المروية، ثم يتم النص على سند بعض الروايات، كل على حدة، ثم تتم العودة إلى السند الجمعي دون تصريح به، وإنما يستعاض عنه بلفظة (قالوا)[1] . وقد يأتي الواقدي بنص الرواية أولاً، ثم يختتمها بذكر السند[2] . ومن إيجابيات منهج الواقدي في ذكر موارده تحريه واستيثاقه صحة المعلومات كسؤاله أحد موارده عما إذا كانت قريش تعاني جوعًا وفقرًا عام غزوة بدر، فرد عليه بالنفي، وقال: بل كانوا شباعًا[3] . نادرًا ما يستخدم الواقدي موردًا مجهولاً[4] ، وقد يأتي بحدث ضخم كغزوة تبوك ثم لا يذكر لروايته فيها سندًا[5] . ويهتم الواقدي بإثبات الوثائق في كتابه بسند، وبغير سند مع سؤال أهل العلم بمضمون الوثيقة[6] .

وفي النهاية نقول: اهتم الواقدي بتاريخ الإسلام، ولم يهتم بأخبار الجاهلية، خلافًا لما كان عليه ابن إسحاق مثلاً؛ ولذلك قال عنه إبراهيم الحربي: «الواقدي أمين الناس على أهل الإسلام، وأعلم الناس بأمر الإسلام»[7] . ومن هنا تورع الواقدي عن التصريح بالنقل عن ابن إسحاق رغم استفادته مما في مغازيه؛ لنقله عن الإسرائيليات وأهل الكتاب، وكذلك لم ينقل عن وهب بن منبه لكثرة ما يروى من القصص والخرافات والإسرائيليات. واعتمد الواقدي على المشاهدة والمعاينة، فكان يعاين أماكن الوقائع والغزوات، فما أدرك أحد من أبناء الصحابة والشهداء، ولا مولى لهم إلا سأله عن مشاهد أهله، وأين قُتلوا، ثم يذهب إلى الموضع الذي أخبر به، فينظر فيه، وقد مضى إلى أماكن الغزوات

---

(١) المغازي للواقدي ١ / ٢٠٠-٢٠٢ .

(٢) حدثني بذلك محمد بن بجاد... إلى آخر السند (السابق ١ / ٢٦-٢٧).

(٣) السابق ١ / ٥٥ .

(٤) مثل: رواية صدرت بلفظة (رُوي)، وتدور حول إعطاء سعد بن عبادة من أسهم بدر رغم عدم مشاركته فيها. (السابق ١ / ١٠١).

(٥) السابق ٢ / ٧٠٦ .

(٦) السابق ٢ / ٤٩٢-٤٩٣، ٦٩٤ .

(٧) تاريخ بغداد ٣ / ٥، وسير أعلام النبلاء ٩ / ٤٥٧ .

كلها، فعاينها وشاهدها[1] . ومن هنا فلا عجب أن يكون دليل الخليفة العباسي هارون الرشيد في معرفة مكان نزول الوحي، وأماكن قبور الشهداء[2] .

جـ- قدرة الواقدي على العرض المنظم لمادته العلمية: لقد بدأ كتابه بعد السند الجمعي بذكر توقيت مولد الرسول ﷺ، ثم استعرض المحتوى العام والخطوط العريضة لموضوعات كتابه من البداية حتى النهاية، مع الاهتمام خلال ذلك بالتعريف بالأماكن الجغرافية التي تصادفه، ثم ذكر إحصاءات بعض مغازي النبي ﷺ وسراياه، وعدد العمرات التي أداها، ثم من استخلفه من صحابته على المدينة أثناء خروجه للغزوات، وشعاره ﷺ في المعارك المختلفة[3] . وبعد ذلك بدأ في العرض التفصيلي لموضوعات الكتاب بادئًا بـ (سرية حمزة بن عبد المطلب)، متبعًا منهجًا فريدًا موحدًا في عرض السرايا غالبًا، حيث يذكر قائد السرية، وتوقيت خروجها، وعدد الجند، ومكان المعركة، ويصف المشركين، ويذكر أعدادهم وقائدهم، والأحداث الواقعة في السرية[4] . وفي غزوات الرسول يذكر تاريخ خروج الغزوة ورجوعها، وخبرها الرئيسي وأخبارها الفرعية، والأوصاف الجغرافية، وتنتهي بذكر نائب الرسول بالمدينة، والآيات والأشعار المرتبطة بالحدث، وقوائم المشتركين في الغزوة والشهداء. كل ذلك بعيدًا عن الخرافات والأساطير[5] .

د- الدقة في التوقيت والإحصاء، والاهتمام بذكر التفاصيل والمعلومات الجديدة: اهتم الواقدي بالتوقيت، فكان يذكر اليوم والشهر والسنة ما أمكن، مثل: المواقيت المرتبطة بغزوة الخندق (التاريخ الذي عسكر فيه المسلمون بقيادة النبي ﷺ، ومدة الحصار التي تعرضوا لها، ومن قبلها المدة التي استغرقها

---

(١) تاريخ بغداد ٣ / ٦ .

(٢) طبقات ابن سعد (ط. دار الكتب العلمية) ج٥ ص٤٩٣-٤٩٤ .

(٣) المغازي للواقدي ١ / ١-٨ .

(٤) السابق ١ / ٩-١٠ .

(٥) المغازي الأولى ومؤلفوها لهوروفتس (من الترجمة العربية) ص ١٢٣ .

حفر الخندق، والموعد الذي انصرف فيه الأحزاب عن المدينة)[1]. وكذلك توقيت الخروج إلى الحديبية، ومدة مكث المسلمين بها، والمدة التي التزم المشركون خلالها بهدنة الحديبية[2]. وأيضًا توقيت هدم خالد بن الوليد صنم العزى[3]، ومدة مكث الرسول في تبوك[4]، وتوقيت وفاة زعيم المنافقين عبدالله ابن أُبَيّ[5]، والتوقيتات المتعددة لمراحل تجهيز أسامة بن زيد للجيش الذي أمر الرسول بإنفاذه إلى الروم، إلى أن توقف مسير الجيش لوفاة الرسول[6]، ثم تحديد الفترة التي استغرقها الغزو بقيادة أسامة أيضًا في عصر الصديق حتى الرجوع إلى المدينة[7]. ويلاحظ أن الواقدي استخدم- أحيانًا- منهجًا فريدًا في ذكر توقيت الأحداث، فهو يذكر شهر وقوعها بالنسبة لمقدم المسلمين المدينة، مثل: توقيت غزوة بني قينقاع، حيث قال: يوم السبت للنصف من شوال على رأس عشرين شهرًا، وحاصرهم النبي ﷺ إلى هلال ذي القعدة[8]. فهنا يلاحظ ذكر التوقيت قبل الغزوة، وحدد يومه وشهره، ثم لم يحدد سنته مباشرة، وإنما اكتفى بتحديدها بالقياس إلى مقدم النبي ﷺ إلى المدينة، وكذلك لم يذكر مدة الحصار ذكرًا واضحًا مباشرًا، وإنما حدد نهايته، ومن قبل بدايته؛ لينشط عقل قارئ التاريخ، فيحدد هو تاريخ الوقعة وما يتصل بها تحديدًا مباشرًا. وأحيانًا يسرد الواقعة أولاً، ثم يذكر توقيتًا في نهايتها وفق المنهج الخاص به[9]. وقد يؤخذ عليه- في النهاية- أنه قد يغفل تاريخ بعض الأحداث[10]، أو يذكر أكثر من توقيت لها دون ترجيح أحدهما على الآخر[11].

---

(١) المغازي للواقدي ٢ / ٤٤٠-٤٤١، ٤٥٤، ٤٩١.
(٢) المصدر السابق ٢ / ٥٧٣، ٦١٦، ٦٢٤.
(٣) السابق ٣ / ٨٧٤.
(٤) السابق ٣ / ١٠١٥.
(٥) السابق ٣ / ١٠٥٧.
(٦) السابق ٣ / ١١١٩-١١٢٠.
(٧) السابق ٣ / ١١٢٥.
(٨) السابق ١ / ١٧٦.
(٩) السابق ١ / ١٧٤-١٧٥.
(١٠) مثل: توقيت صلح فَدَك. (السابق ٢ / ٧٠٦).
(١١) مثل: توقيت هجوم المسلمين على المشركين في سرية نخلة (آخر رجب، أو أول شعبان من السنة الثانية للهجرة). (السابق ١ / ١٤).

ومن مظاهر دقة الواقدي العناوين التي كان يضعها لأبواب كتابه- والتي أشرنا إليها في سرد محتواه- لكنه- أحيانًا- كان يسمى الباب بأبرز- لا بكل- أحداثه؛ كما في باب (شأن هدم العُزَّى)[1] ، وهذا يتنافى مع الدقة الواجب مراعاتها؛ لأنه قد يؤدي إلى اللبس، كما في باب (من قتل من المسلمين يوم الفتح)، فإذا به يعالج تحته من قتل من المشركين كذلك[2] .

يحتوي كتاب (المغازي) للواقدي على تفاصيل كثيرة للأحداث، ومعلومات جديدة قد لا نجدها على هذا النحو سوى لدى الواقدي، منها: وصف الطريق إلى بدر، واستعمال الرسول أحد الصحابة على المشاة من جنده في بدر[3] - تفاصيل ما لكل جماعة وبطن في قريش من أموال تشارك بها في قافلة قريش التجارية القادمة من الشام، والتي بسببها كانت غزوة بدر[4] - ما قاله عمر بن الخطاب تفصيلاً للرسول عند استشارة المهاجرين والأنصار للخروج إلى بدر[5] - نسب المرأة المسلمة التي تسببت في غزو يهود بني قينقاع[6] - هدم المشركين مزارع الأنصار وهم في الطريق إلى أُحُد[7] - تفاصيل إصابات الرسول في أُحُد، وبيان المسئول عن كل إصابة منها[8] - تتبع جهاد أم عمارة من أحد حتى اليمامة، وتكريم الخليفة عمر بن الخطاب لها في خلافته[9] - إحصاءات دقيقة عن شهداء أحد والتعريف بهم، وتحديد من قتل كلاً منهم[10] - إحصاءات عن تضحيات الأنصار في المعارك المختلفة حتى عصر عمر رضي الله عنه[11] - تبرُّك خالد ابن الوليد بشعر ناصية الرسول في حروبه[12] - الرسول يصف الداء والدواء لسعد بن أبي وقاص في مرضه، وينصحه بالذهاب إلى الحارث بن كَلَدَة الثقفي يطلب ما يقوم به لعلاجه[13] . وأخيرًا، فإن الواقدي لم يتعرض- تفصيلاً-

---

(١) المغازي للواقدي ٣ / ٨٧٣ وما بعدها.
(٢) السابق ٣ / ٨٧٥ وما بعدها.
(٣) السابق ١ / ٢٦ .
(٤) السابق ١ / ٢٧ .
(٥) السابق ١ / ٤٨ .
(٦) السابق ١ / ١٧٦ .
(٧) السابق ١ / ٢٠٧ .
(٨) السابق ١ / ٢٤٤-٢٤٥ .
(٩) السابق ١ / ٢٦٨- ٢٧١ .
(١٠) السابق ١ / ٣٠٠ وما بعدها.
(١١) السابق ١ / ٣٥٠ .
(١٢) السابق ٣ / ١١٠٨ .
(١٣) السابق ٣ / ١١١٦ .

لمرض الرسول ﷺ، وما دار فيه بين الصحابة، وتداعياته على نحو ما ركز ابن إسحاق، واكتفي بالتركيز على بعث أسامة ومكانته قائدًا، ونتائج بعثه؛ لأنه من تمام المغازي التي أمر بها الرسول ﷺ، بل آخرها. ومن هنا بالغ الواقدي في بيان اهتمام الرسول ﷺ بأسامة، وحبه الشديد له، وتزويجه وهو ابن خمس عشرة سنة[1].

هـ- مدى حضور شخصية الواقدي: من خلال استعراض كتاب (المغازي) وجدنا مواضع عديدة من الشرح والتوضيح، وإبداء الرأي. من ذلك: تعليقه الموجز (وهو المثبت) على رواية تقول: لم يبعث رسول الله ﷺ أحدًا من الأنصار مبعثًا، حتى غزا بنفسه إلى بدر، ذلك أنه ظن أنهم لا ينصرونه إلا في الدار[2]. ويلاحظ ترجيح الواقدي أمورًا معينة في مواضع عديدة، لكن ينقصه ذكر الدليل، مثل: ترجيحه عدم خروج عداس مع المشركين في غزوة بدر[3]، وترجيح عدم وجود ميمنة وميسرة لجيش المسلمين في بدر[4]. وقد يرجح مع ذكر الدليل كقوله: إن خمس رسول الله ينفق منه على أهله ويعطى منه المحتاجين يؤخذ من حقه في حصن الكتيبة بخيبر؛ لأنه جعل حصني الشق، والنطاة أسهمًا للمسلمين[5]. ويهتم الواقدي بالتعليل أحيانًا، فذكر سبب تسمية غزوة ذات الرقاع بذلك الاسم[6]، وعلل لخروج سرية أبي عبيدة إلى ذي القصة[7]. وثمة مواضع علق فيها الواقدي، مثل: اعتبار من جرح في معركة، ثم مات بعدها بفترة من شهداء هذه المعركة مستدلاً على ذلك بما يقوله أصحابه من علماء المغازي: أبو سلمة من شهداء أحد؛ لإصابته في تلك الغزوة، وأبو خالد الزرقي من شهداء اليمامة رغم موته متأثرًا بجراحه في خلافة عمر[8]. وكذلك ساق الواقدي موقف قوم من بني كلاب، استقبلوا كتاب الرسول إليهم فغسلوه (محوا ما به)، ورقّعوا به دلوًا عندهم، ولم يجيبوا داعي الرسول. فقال

(١) المغازي للواقدي ٣ / ١١٢٥ - ١١٢٦.
(٢) المصدر السابق ١ / ١٠.
(٣) السابق ١ / ٣٥.
(٤) السابق ١ / ٥٨.
(٥) السابق ٢ / ٦٩٣.
(٦) السابق ١ / ٣٩٥.
(٧) السابق ٢ / ٥٥٢.
(٨) السابق ١ / ٣٤٤- ٣٤٥.

الرسول ﷺ عنهم: «هم أهل عجلة وكلام مختلط، وسفه». علق الواقدي قائلاً: رأيت بعضهم عَيِيًا لا يُبين الكلام[1].

ومن الملاحظ أن الواقدي أكثر من الشرح والتوضيح والتعريف الجغرافي واللغوي في مواضع عديدة من كتابه، فعرّف بـ (رابغ)[2]، وعرف المسافات بين الأماكن في (سرية نخلة)[3]، وعرّف بـ (الجُرْف) التي عسكر بها أسامة بجيشه[4]. وأحيانًا كان يتتبع التطورات التي لحقت ببعض الأماكن وما آلت إليه في زمانه[5]. وفي أماكن نادرة كان يغفل تعريف بعض الأماكن، أو يجهلها[6]. وكذلك كانت لديه قدرات لغوية فائقة تساعده على شرح بعض المفردات[7]، وتمكنه من الوقوف أمام ألفاظ صعبة في بعض الوثائق يشرحها ويبينها[8].

و- **بعض الجوانب الحضارية**: يتمتع كتاب (المغازي) بسيل من المظاهر الحضارية المتنوعة سياسيًا، واقتصاديًا، واجتماعيًا، وحربيًا، منها: كثرة استشارة الرسول لأصحابه خاصة عند الحرب[9] - كعب بن مالك في منصب قابض الغنائم وحاملها، ويعينه بعض الصحابة في بدر[10] - شقران مولى الرسول عامل الأسرى والمسئول عنهم[11] -الاهتمام بأسرى بدر وحسن معاملتهم[12] - عويم بن ساعدة القائم بإقامة الحدود[13] - مشاورة الرسول امرأته (أم سلمة) في الحديبية[14] - ما كانت تحمله قافلة قريش التجارية من أطعمة وبضائع في بدر[15]- الثمن الذي اشترى به سعد بن أبي وقاص بئر السقيا بالمدينة[16] -

---

(١) المغازي للواقدي ٣ / ٩٨٢ - ٩٨٣.
(٢) المصدر السابق ١ / ١٠.
(٣) السابق ١ / ١٧.
(٤) السابق ٣ / ١١١٨.
(٥) السابق ١ / ٢١٩، ٢٥٠، ٣٠٠.
(٦) السابق ١ / ٣٨، ٢ / ٤٥١-٤٥٢.
(٧) صدّرها بقوله: قال أبو عبد الله (السابق ٢ / ٥٣٨).
(٨) مثل: مفردات وثيقة صلح الرسول ﷺ مع أكيدر دومة الجندل. (السابق ٣ / ١٠٣٠).
(٩) السابق ١ / ٥٣-٥٤، ٢ / ٤٤٥.
(١٠) السابق ١ / ١١٢.
(١١) السابق ١ / ١١٦.
(١٢) السابق ١ / ١١٨-١١٩.
(١٣) السابق ١ / ٣٠٥.
(١٤) السابق ٢ / ٦١٣.
(١٥) السابق ١ / ١٦.
(١٦) السابق ١ / ٢٣.

أجرة ضمضم مقابل الإسراع بإخبار أهل مكة بالخطر الذي يهدد قافلتهم[١] - نموذج للبيع والشراء المثالي المتسامح بين الرسول وصاحبه جابر بن عبدالله[٢] - المكانة العظيمة لخيبر من الناحية الاقتصادية[٣] - بلال خازن بيت المال زمن الرسول، وعطاء بني تميم[٤] - بلال مسئول التموين في الجيش في غزوة تبوك[٥] - من مظاهر تجمل وتعطر النساء في ذلك العصر[٦] - انتظار جاريتين قدوم عير قريش لتقديم الخدمات لأفرادها، ودفع ما على إحداهما من دَيْن للأخرى[٧] - عناصر المجتمع في المدينة[٨] - تداخل واختلاط كبير بين الأنصار واليهود بالمدينة، وطبيعة اليهود الانتهازية[٩] - أهمية وجود المال، والذهب لدى المرأة لتيسير نكاحها[١٠]- الغيرة بين نساء الرسول (عائشة، وجويرية)[١١]- من الآداب الاجتماعية (عدم طروق النساء ليلاً)[١٢]- تبسُّط الرسول في تعليم امرأة ساذجة[١٣]- تزيين العروس ومكان بدائي لإتمام ذلك[١٤]- نموذج للمرأة ذات الفخر الكاذب (جويرية بنت أبي جهل)، وزعمها أن النبوة عُرضت على أبيها، فردّها؛ لئلا يُغضب قومه[١٥]- حرص المرأة المسلمة على إسلام زوجها[١٦]- جمال نساء قريش، وتغيرهن حزنًا على ما فقدان من أهل وأبناء وأزواج في الغزوات، وأهم صفاتهن: الحنان على الولد، والوفاء للزوج[١٧]- المقاطعة الاجتماعية الكاملة للمسلمين العصاة، وقيمة الصدق في المجتمع الإسلامي[١٨]- ألوية الجيش الإسلامي في أحد قادتها[١٩]- أهمية حامل اللواء في المعركة[٢٠] -

---

(١) المغازي للواقدي ١ / ٢٨ .
(٢) السابق ١ / ٤٠٠-٤٠١ .
(٣) السابق ٢ / ٦٣٤ .
(٤) السابق (٣ / ٩٨٠).
(٥) المصدر السابق ٣ / ١٠١٨ .
(٦) السابق ١ / ٣٦ .
(٧) السابق ١ / ٤٠ .
(٨) السابق ١ / ١٨٤ .
(٩) السابق ١ / ١٨٨ .
(١٠) السابق ١ / ٣٣١، ٣ / ١١٢٥ .
(١١) السابق ١ / ٤٤١ .
(١٢) السابق ٢ / ٤٣٩-٤٤٠، ٧١٢ .
(١٣) السابق ٢ / ٥٤٨ .
(١٤) السابق ٢ / ٧٠٧- ٧٠٨ .
(١٥) السابق ٢ / ٨٤٦ .
(١٦) ٢ / ٨٥١ .
(١٧) السابق ٢ / ٨٦٧ .
(١٨) السابق ٣ / ١٠٤٩ وما بعدها.
(١٩) السابق ١ / ٢١٥ .
(٢٠) السابق ١ / ٢٢٦ .

أهمية إرسال العيون في الاستطلاع وجمع المعلومات[١] - كيفية عمل السهام وتجهيزها للرمي[٢] .

ز- **قضايا تاريخية يثيرها كتاب المغازي**: وهذه القضايا والموضوعات كثيرة للغاية، نجتزئ منها بما يلي: فلسفة إرسال السرايا والغزوات قبل غزوة بدر (القيادات- التوجيهات- الجند- الأهداف- النتائج)[٣] - مدى صحة ما نُسب إلى أبي سفيان من تفكيره في نبش قبر أم الرسول وهم في طريقهم لأحد[٤] - مدى صحة الروايات التي تنسب كل دعوى شريرة للشيطان (الزعم بمقتل الرسول في أُحد)[٥] - الخيال والأسطورة في زعم امرأتين سماعهما رد حمزة السلام عليهما من قبره[٦] - هل سلمان الفارسي هو الذي بولغ في حمل حجارة الخندق عليه، أو هو عمار بن ياسر؟[٧] - ما الهدف من كل هاتيك السرايا غير ذات الأثر المادي الملحوظ بعد غزوة بني قريظة[٨] -، وكذلك السرايا التي لا نعرف لها سببًا ولا دافعًا وبعضها نتائجه محزنة بالنسبة للمسلمين؟[٩] - هل تم توجيه الرسل لحكام العالم قبل الحديبية؟![١٠] - هل كان أبو بكر ممن لم يستجب للرسول هو وأبو عبيدة بن الجراح في التحلل من الإحرام في الحديبية؟[١١] - إذا كان الرسول لم يؤذن له بفتح الطائف، فَلِمَ الحصار من الأصل؟ هل الهدف منع تفكير ثقيف في مهاجمة المدينة؟[١٢] - غزوة تبوك (العُسْرَة) لم يذكر عنها الواقدي تفاصيل كافية، ولم نجد فيها معارك حربية رغم كل الظروف العصيبة التي صاحبتها، فما الهدف منها؟ وما نتائجها سوى البيع والشراء هنالك؟)[١٣] .

---

(١) المغازي للواقدي ٢ / ٥٥٠، ٥٦٢، ٥٦٦، ٥٧٣، ٥٧٩- ٥٨٠، ٦٤٢، ٧٥١، ٨٠٤ .
(٢) السابق ٣ / ٩٣١ .
(٣) السابق ١ / ٩ وما بعدها.
(٤) السابق ١ / ٢٠٦ .
(٥) السابق ١ / ٢٣٢ .
(٦) السابق ١ / ٣١٤ .
(٧) السابق ٢ / ٤٤٦-٤٤٧ .
(٨) السابق ٢ / ٥٥٠ وبعدها.
(٩) السابق ٢ / ٧٥٠-٧٥٣ .
(١٠) السابق ٢ / ٥٥٥ .
(١١) السابق ٢ / ٦١٣ .
(١٢) السابق ٣ / ٩٣٥ .
(١٣) السابق ٣ / ١٠١٩ وما بعدها.

دراسة كتاب (الرِّدَّة) للواقدي[1]

أ- **المحتوى**: بدأ الواقدي كتابه بالحديث عن اضطراب أمر الناس عند وفاة النبي ﷺ، وأخبار السقيفة، وخروج أسامة بن زيد بالجيش. ثم تعرض لأحداث الردة في مختلف نواحي الجزيرة العربية. وبدأ - قبل ذلك- ببيان مواقف بعض زعماء القبائل الثابتة على الإسلام المؤدية للزكاة، مثل: عدي بن حاتم الطائي، والزبرقان بن بدر. ثم عرض للمواجهات الحاسمة الدامية للجيوش الإسلامية بقيادة خالد بن الوليد ضد المرتدين من أمثال: طليحة الأسدي، وعيينة بن حصن في أسد وغطفان، ومقتل مالك بن نويرة، واستسلام بني تميم. ثم مواجهات عنيفة مع بني حنيفة بقيادة مسيلمة الكذاب حتى مقتله، وتفرق أتباعه في معركة اليمامة. كما تناول مواجهة المرتدين في البحرين، وحضرموت (حيث بنوكندة)، حتى أسر الأشعث بن قيس وإرساله إلى أبي بكر والعفو عنه، وزواجه من أخت الصديق رضي الله عنه.

أما بخصوص (نبذة في ذكر المثنى وبداية الفتوح)، ففيها إيذاء الفرس لبني شيبان بن ربيعة، ومهاجمة المثنى للفرس بناحية الكوفة، وإعجاب الصديق به، وإرسال خالد لوضع خطة حربية للصدام بالفرس ناحية البصرة، ونزول خالد إلى الحيرة ومصالحة أهلها على دفع الجزية، وفتح (عين التمر) قَسْرًا.

ب- **الموارد**: في بداية الكتاب ذكر الواقدي السند الجمعي الآتي: (حدثني إبراهيم بن عبدالله بن العلاء القرشي المدني، قال: حدثني أحمد بن الحسين الكندي، ونصر بن خالد النحوي، وأبو حمزة القرشي، عن محمد بن إسحاق ابن يسار المطلبي، قال: حدثني الزهري، ويزيد بن رومان[2]، وصالح بن كيسان، ويحيى بن عروة، عن الزبير بن العوام، ومحمود بن لبيد، وعاصم بن

---

(١) اعتمدت على طبعة دار الغرب الإسلامي ببيروت ١٩٩٠م، وهي بعنوان: (كتاب الردة مع نبذة من فتوح العراق، وذكر المثنى بن حارثة الشيباني).

(٢) ورد الاسم محرفًا في النص هكذا: زيد بن رومان. (الردة: للواقدي) ص ٢٧.

عمر بن قتادة، كل يذكر)[1] ، وتوقعنا - بعد ذلك- أن يورد لنا الواقدي مصادر رواياته موزعة على أبواب الكتاب المختلفة، لكنه فاجأنا بعدم ذكر أي مصدر حتى نهاية الكتاب، وكذلك في الجزء التالي الذي يتناول نبذة من فتوح العراق، وكل ما هنالك استخدامه لفظة (قال) في بداية الفقرات[2] ، ولا ندري من الذي قال؟ . وفي مرة وحيدة استبدل بها جملة (قال الراوي) في باب (ذكر أخبار الردة)[3] . وهكذا، اكتفى الرجل بذكر موارد الكتاب عامة، دون أن يبين أسانيد بعض الروايات كما كان الحال في (المغازي). وفي قصائد الشعر ومقطوعاته الكثيرة التي تشغل حيزاً هائلاً من الكتاب كان ينسب الأشعار لقائليها من المشاركين في الأحداث[4] ، وكان - أحيانًا- يُبْهم شخصية الشاعر مكتفيًا بقوله: (أنشأ رجل)[5] . ولا ندري السبب الحقيقي وراء ذلك المسلك الذي انتهجه الواقدي في هذا الكتاب، ولعله أراد التحرر من أعباء ذكر الأسانيد بعد ابتعاده عن فترة الرسالة الخالدة.

ج- **تفاصيل، ووثائق مهمة جديدة**: أورد الواقدي تفاصيل جديدة عما دار في اجتماع سقيفة بني ساعدة، وأورد خطبة لأبي الهيثم بن التَّيِّهان ليس لها ذكر إلا في هذا الكتاب. وهذه الخطبة مع خطبة أبي بكر من أوائل ما نَبَّه لعلاقة الحكم بقريش. وفي خطبة أبي بكر معلومات جديدة، منها: أهمية وجود خليفة للمسلمين، لكنه لم يحدد من يكون، وترك الأمر للناس شورى. وكذلك سرد الواقدي خطبة خطيب الأنصار ثابت بن قيس في اجتماع السقيفة، وهي التي لم ترد- وإن أشير إليها- في مصدر آخر، وفيها: أن الرسول ﷺ لم يستخلف رجلاً بعينه، وبها اتهامات للصديق بعصيان الرسول إن كان قد رضيه في حياته، فلماذا لم يطالب بالخلافة؟. وفيها نفي صريح من عمر لصلاحية سعد ابن عبادة للخلافة، ودفاع حسان بن ثابت بشعره عن الأنصار. وظهرت

---

(١) الردة: للواقدي ص ٢٧ - ٢٨ .

(٢) السابق ص ٣١-٣٢، ٣٥-٣٩، ومواضع أخرى كثيرة.

(٣) السابق ص ٤٨ .

(٤) السابق: ٣٠، ٣٨، وغيرها.

(٥) السابق ص ٥٨، ٩٢، ١٩٦ .

شخصية جديدة أخرى لم يرد لها ذكر في المصادر الأخرى، وهي شخصية (زيد ابن أرقم)، الذي تساءل: أين علي بن أبي طالب، فكان أول من أثار مدى أحقية عليّ بالخلافة[1].

ومن التفاصيل المهمة رصد عوامل جديدة للردة في البحرين تتعلق بشخص أبي بكر[2]، وتحيز الواقدي لبني كندة، وتركيزه شبه الكامل على شجاعة وجسارة الأشعث بن قيس، وكأنه هو المقاتل الوحيد هناك، مع حرص الرجل على استعراض ميزات كندة، وقوة عزائمهم، وتبايعهم حتى الموت في الميدان[3].

د- طريقة العرض التاريخي: من أبرز ما استخدم الواقدي في هذا الكتاب، الأشعار الكثيرة، التي نشك في نسبة قدر منها لأصحابها، التي أُلصقت بهم، أبو الهيثم بن التيهان- أصلاً- لا ذكر له في أحداث السقيفة في المصادر الأخرى[4]، والحباب بن المنذر القائد الحربي الفذ لم يؤثر عنه قول الشعر[5]، وحسان لم يذكر أي من المصادر الأخرى شهوده السقيفة[6]، والحارث بن هشام المكي كان بمكة، فكيف أُتي به إلى المدينة ليشهد حادث السقيفة، ويقول فيه شعراً؟![7]

وضع الواقدي عناوين لأبواب الكتاب، لكن بعضها لا يتصف بالدقة ليشمل ما تحته من موضوعات، مثل عنوان: (ذكر خروج أسامة بن زيد)، فخروج أسامة شغل سطوراً محدودة، وباقي الباب عن (الردة)[8]. وتحت

---

(١) الردة: للواقدي ص ٢٩ وما بعدها.

(٢) السابق ص ١٤٧- ١٤٨، ١٧٣، ١٧٥-١٧٧، ١٨٣.

(٣) السابق ١٩٤-١٩٦، ٢٠٥.

(٤) السابق ص ٣٠، ٣١.

(٥) السابق ص ٣٨.

(٦) السابق ٤٠ - ٤١.

(٧) السابق ٤٢، وفي الإصابة، لابن حجر ١ / ٦٠٧، ٦٠٨: كان يقيم بمكة، ولم يغادرها بولده وماله- معتذراً إلى أهلها- إلا في عهد عمر، راحلاً إلى الشام، للجهاد في سبيل الله حتى مات في طاعون عمواس سنة ١٨هـ. وقد أورد له ابن حجر كلاماً في تأييد جعل الخلافة في قريش، لكني لا أجد ما يقطع بحضوره اجتماع السقيفة، فقد كان لعدد محدود من المهاجرين إلى جانب الأنصار.

(٨) يمتد الباب في كتاب (الردة) من ص ٥٤-٧٤، يشغل منها الحديث عن أسامة جزءاً قصيراً من ص ٥٤.

عنوان: (ذكر فُجاءة بن عبد ياليل)، تناول هذه الشخصية، وتناول خبر طليحة الأسدي[1]، الذي كان يستحق بابًا مستقلاً.

في ضوء اهتمام الواقدي الزائد بكندة- رغم إخلاله بذكر تفاصيل مهمة عن مواجهة المسلمين بني حنيفة[2] - استطرد في ذكر أخبار الأشعث بن قيس، وأولاده، وأحفاده من بعده حتى عصر الحجّاج[3]. ثم ختم بأبيات من الشعر للأشعث يذكر فيها قتلى كندة وبعدها يقول الواقدي: انقضت أخبار الردة عن آخرها[4].

وبعد ذلك ينتقل إلى (ذكر المثنى بن حارثة)[5] بادئًا بلفظة (قال) التي ربما كان يربط بها ما مضى بالموضوع الجديد، وهو العزم على محاربة الأعاجم بعد الردة. ويلاحظ أن الكتاب يعالج حروب المثنى وخالد بطريقة مخلة، تخلو من كثير من التفاصيل، وتخلو كذلك من التعريفات الجغرافية[6] التي ظهرت إجادة الواقدي لها في (المغازي)؛ ربما لأنها بلاد لا يعرفها جيدًا كما يعرف الحجاز. والسؤال الذي يفرض نفسه بإلحاح وقوة: هل هذا الجزء الخاص بالمثنى داخل في كتاب (الردة)؟ إنني أرجح أن يكون بداية كتاب آخر للواقدي، لكن مخطوطته لم تستكمل، فهو سيتناول الفتوح، وفي نهايته يقول: إلى أن تحركت الروم بأرض الشام، فنرجع- الآن- إلى ذكر فتوح الشام[7].

هـ- **مدى بروز شخصية الواقدي في كتابه**: اتضح ذلك في بعض المواضع، منها: قوله بعد سرد ما حدث في السقيفة: هذه رواية العلماء، ولم أسجل شيئًا من زيادات الرافضة، فهو لا يضمن في يد من يقع كتابه هذا، فهو حريص على عدم نشر انحرافاتهم. ثم رجع للحديث عن قتال أهل الردة رابطًا بين أحداث السقيفة، وما سبقها من تنبؤ بعض المنحرفين، وما تلاها من قتال

---

(١) الواقدي: الردة ٧٥ - ٨١.
(٢) السابق ص ١٢٦.
(٣) السابق ٢١٣ - ٢١٤.
(٤) السابق ٢١٥.
(٥) يمتد هذا الجزء من ص ٢١٥- ٢٣١.
(٦) أماكن دون تعريف جغرافي لها (السابق ٢٢٣).
٧) السابق ص ٢٣١.

المرتدين[1] . ويركز الواقدي على موضع العبرة والعظة عندما اهتم بنقل كلام أحد أتباع طليحة بعد انهزامهم، محدداً سبب هزيمتهم: «نحن قوم نقاتل نريد البقاء، وهؤلاء يقاتلون ويحبون الفناء»[2] . وكذلك تدخل الواقدي تدخلاً يسيراً لتوضيح بعض الإشارات في النصوص الواردة، مثل: بيانه مقصود إشارة أهل البحرين وهم يخاطبون كسرى عن مُضيّ ذلك الرجل من العرب الذي كانت قريش وسائر مُضَرَ يعتزون به (قال: يعنون بذلك رسول الله)[3] . وكذلك ما ورد في حوار عنيف بين زياد بن لبيد عامل أبي بكر على كندة، وبين الأشعث بن قيس أحد ملوكها، حيث هدد الأول بعد أسر الأخير بقتل الصديق له، فردّ عليه الأشعث: لئن يأكلني الأسد أحب إليّ أن يأكلني الكلب (قال: يعني بالكلب هو، أي: زياد بن لبيد)[4] .

و- **بعض جوانب حضارية**: (أبو بكر يستشير فيما يصنع إزاء المرتدين، وحواره مع عمر[5] - أبو بكر يرسم لخالد بن الوليد الخطة الحربية العامة لمواجهة المرتدين[6] - الحرب النفسية التي أثارها بنو حنيفة ضد المسلمين، وخطة المسلمين الحربية المبتكرة التي تحركها الإرادة والعزيمة في مقابل إرادة بني حنيفة[7] - إحصاء بعدد قتلى المسلمين في اليمامة (خاصة القراء)[8] - أعداد جند المسلمين المحاربين لكندة)[9] .

ز- **قضايا تاريخية مثارة**: (في أخبار سقيفة بني ساعدة يذكر الواقدي أن أبا بكر لقي المسلمين من الغد؛ لمناقشة أمر الخلافة، وهذا غير صحيح، فالبيعة لم تؤجل، وحُسم الأمر في اليوم نفسه، ثم من هم المهاجرون المنحازون للأنصار؟ ثم هل كان خزيمة بن ثابت حاضراً السقيفة، وكان أول المتكلمين؟ وهل حضر

---

(١) الردة: للواقدي ص ٤٧ .
(٢) السابق ٩٢ .
(٣) السابق ١٤٧ .
(٤) السابق ٢١٠ .
(٥) السابق ٥٠- ٥١ .
(٦) السابق ٧٠- ٧١ .
(٧) السابق : ١٢٣ ، ١٣٢ .
(٨) السابق: ص ١٤٠ .
(٩) السابق : ١٨٩ .

عويم ومعن وقد لقيا أبا بكر وعمر بالطريق وأخبراهما خبر السقيفة؟ وهل ضَجّ المهاجرون احتجاجًا على موقف الأنصار رغم أنهم- في الصحيح- لا يزيدون على ثلاثة نفر؟!(١) - أين تفاصيل رد فعل عمر وأبي بكر من قتل خالد مالك ابن نُويرة وزواجه من امرأته؟(٢) - وهل حقًا نجح مُجّاعة في خداع خالد بن الوليد بهذه السهولة، ونشر نساء فوق الحصون معهن سلاح ناشرات شعورهن، فظن خالد أنهن رجال مقاتلون، فاضطر إلى عقد الصلح مع بقايا بني حنيفة؟ وما قام به خالد من تمييز أقارب زوجته الجديدة (ابنة مجّاعة) عن بقية الناس، ورد فعل الناس والخلافة من جرّاء ذلك؟)(٣).

● **ملاحظتان مهمتان**: قبل إنهاء تناولي للمؤرخ الواقدي أشير إلى ما نسبه البعض إليه من تأليف كتابَي: (فتوح الشام، وفتوح إفريقية). ويمكن إيجاز الرد على هذه الدعوى فيما يلي:

١- **كتاب (فتوح الشام)**: شكك في صحة نسبة هذا الكتاب إلى الواقدي باحثون عديدون(٤)، وبمطالعتي الكتاب المنشور تحت هذا الاسم وجدت كثيرًا من الأحداث فيه تحمل الطابع الأسطوري الخرافي الذي لا تعرفه منهجية الواقدي(٥)، بل إنه نفسه يصرح في خاتمته بأنه: «وضع فيه كل نادرة عجيبة، وحكاية غريبة»(٦). والعجيب أن الطبعة الموجودة لم تقتصر على فتوح الشام، بل امتدت إلى فتوح مصر، وديار بكر، وأرض ربيعة، وفتوح العراق(٧)، وفيها

---

(١) الردة: للواقدي ص ٣٢، ٣٤، ٤١.

(٢) السابق: ١٠٨.

(٣) السابق: ١٤٤- ١٤٦.

(٤) مثل: د. مارسدن في مقدمة تحقيقه للمغازي ج١ ص١٦. وبروكلمان في (تاريخ الأدب العربي) ٢ / ١٨ (حيث يرى أن كثيرًا من كتب الفتوح المنسوبة إليه كثر انتشارها أيام الحروب الصليبية؛ لبَثّ الحمية في نفوس المجاهدين)، و د. شاكر مصطفى في (التاريخ العربي والمؤرخون) ١ / ١٦٤ (هامش ١).

(٥) راجع - مثلاً- أحداث فتوح مصر الموجودة فيه (فتوح الشام للواقدي، دار الجيل- بيروت) ٢ / ٣٦ وما بعدها.

(٦) المصدر السابق ٢ / ٣١٠.

٧) السابق ٢ / ١٨٤ وبعدها.

أخطاء فاحشة لا يقع فيها مؤرخ كبير كالواقدي[1] . ومن هنا أميل إلى عدم صحة نسبة هذا الكتاب إليه، فلا داعي لأن نُعَنِّي أنفسنا بدراسته.

٢- **كتاب (فتوح إفريقية)**: وقد درس مخطوطته أحد الباحثين الكبار[2]، ومن أكبر المآخذ التي جعلته يشك في صحة نسبته للواقدي وجود إشارات فيه ترجع إلى القرنين: السادس، والسابع الهجريين، ودخول الأساطير فيها بعد القرن السابع الهجري. فهي ليست للواقدي بمنهجها ومحتواها الحالي.

***

السمات العامة لمؤرخي المدينة في القرنين الأولين من الهجرة

نجمع - في هذه السمات- ما يتصل بمؤرخي بحث سابق (القرن الأول الهجري)، إلى جانب مؤرخي القرن الثاني الهجري؛ لصعوبة الفصل بينهم، وذلك على النحو الآتي:

١- مفهوم السيرة والمغازي لدى معظم مؤرخي مدرسة المدينة في هذين القرنين مفهوم شامل عريض، لا يقف عند حدود غزواته ﷺ، بل يمتد ليشمل حياته كلها.

٢- اهتم مؤرخو المدينة في تلك الفترة اهتمامًا كاملاً بالمغازي، وغلب التصنيف فيها على ما عداه من الموضوعات الأخرى، وأفرد بعضهم لها مؤلفًا ضخمًا حمل الاسم نفسه (المغازي للواقدي). ووجدت لبعضهم اهتمامات بتاريخ الراشدين، والأمويين، لكنها ظلت محدودة بالقياس إلى مروياتهم في السيرة؛ نظرًا لضياع معظم المؤلفات التي دبجتها قرائح مؤرخي تلك الفترة المبكرة.

٣- مؤرخو المدينة - في مجموعهم- محدثون فقهاء؛ مما يدل على تغلغل

---

(١) مثل: زعم مشاركة خالد بن الوليد بقواته في (فتوح مصر). (فتوح الشام) ٢ / ٦١ وبعدها.

(٢) راجع مقالة أ.د. سعد زغلول عبدالحميد بعنوان: (فتح العرب للمغرب بين الحقيقة والأسطورة- دراسة ونقد لمخطوط فتوح إفريقية للواقدي)، نشر: مجلة كلية الآداب- جامعة الإسكندرية، المجلد السادس عشر سنة ١٩٦٢م (ص١-٤٣).

الحديث، وأهميته كرافد من أهم روافد المغازي والسير، ويدل- أيضًا- على الصلة الوثيقة بين الحديث والتاريخ في النشأة الأولى. وحرص هؤلاء المؤرخون على الاستشهاد بالشعر المرتبط بالوقائع؛ لإبراز عنصر من عناصر ثقافتهم العربية، واتخاذه وسيلة من وسائل توثيق مروياتهم.

٤- كان لمؤرخي هذه الفترة مكانتهم الاجتماعية المتميزة من صحابة وتابعين، وعلماء أجلاء بالقرآن والحديث والفتوى. وكان المجتمع المدني - آنذاك- ذا اهتمام كبير بالسيرة وأخبار الفتوح، وكان إقبال الناس- خاصتهم وعامتهم- على مجالس السيرة والمغازي كبيرًا. وقد رأينا - سلفًا- اهتمام الخلفاء بسؤال علماء المغازي عما يَعنّ لهم من استفسارات (كأسئلة عبد الملك بن مروان لعروة ابن الزبير). وكان عاصم بن عمر يعلم المغازي في مسجد دمشق بأمر من الخليفة عمر بن عبدالعزيز، كما كان موسى بن عقبة، والواقدي يدرسانها بالمسجد النبوي.

٥- ليست بين أيدينا مؤلفات لهؤلاء المؤرخين تشير إلى اهتمامهم بتسجيل التاريخ المعاصر، وكم كنا نود لو وجدت بقايا ذات قيمة إن أعوزتنا المؤلفات الكاملة الباقية؛ كي نخرج بتصور أقرب إلى الحقيقة للدور الذي لعبه هؤلاء المؤرخون في مجتمعاتهم، وموقفهم من خلفاء بني أمية، وبني العباس المعاصرين لهم. ويغلب على الظن أن المؤرخ أبا معشر المدني (ت ١٧٠هـ/ ٧٨٦م) ألّف- إلى جانب مغازيه المفقودة[١] - تاريخًا حوليًا وصل به إلى وفاة الخليفة الهادي ليلة الجمعة للنصف من شهر ربيع الأول سنة ١٧٠هـ[٢]. ورغم كثرة الاقتباسات من هذا المؤلّف الأخير، إلا أنها مقتبسات تدور حول مواقيت الأحداث التاريخية[٣]. أما الأحداث نفسها، أو بعض منها، ومنهجه في تأليفها، فهو ما يَعزّ علينا معرفته، والوقوف عليه حتى الآن.

---

(١) الفهرست لابن النديم ص ١٣٦.
(٢) تاريخ الطبري ٨ / ٢١٣.
(٣) راجع الكثير من هذه المقتبسات في (المصدر السابق) ٣ / ٣١٣-٣١٤، ٤٢٠، ٤٧٩، ٤ / ٦٠، ٩٦، ١٠٢، وغيرها كثير حتى الجزء الثامن (راجع مزيدًا من الإحالات في فهرست الأعلام ج١٠ ص ٤٢٠-٤٢١).

(قوائم المصادر والمراجع والدوريات) (*)

- القرآن الكريم .

أولاً: المصادر:

* البخاري (محمد بن إسماعيل البخاري ت ٢٥٦هـ / ٨٦٩م):

- صحيح البخاري: طبعة : عالم الكتب، بيروت ١٩٨٥م .

* البلاذري (أحمد بن يحيى بن جابر ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م):

- فتوح البلدان: طبع، ونشر: مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ١٩٥٦م. تحقيق: د. صلاح الدين المنجّد .

* ابن أبي حاتم (عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي ت ٣٢٧هـ / ٩٣٨م):

- تقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل: الطبعة الأولى، مطبعة: مجلس دائرة المعارف العثمانية بالهند ١٩٥٢م. تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي.

* ابن حبان (محمد بن حبان بن أحمد البستي ت ٣٥٤هـ / ٩٦٥م):

-الثقات: الطبعة الأولى. مطبعة: مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن بالهند ١٩٧٣- ١٩٨٣م .

* ابن حجر (أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م):

- تهذيب التهذيب: الطبعة الأولى، دار الفكر - بيروت ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

- فتح الباري بشرح صحيح البخاري: طبع، ونشر: المكتبة السلفية ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م . ترقيم، وترتيب، ومراجعة: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، وقُصيّ محب الدين الخطيب .

(١) تم وضع القرآن الكريم على قمة المصادر المستخدمة في البحث، ثم رتبت المصادر وفق لقب المؤلف (أو اسمه المشهور)، مع مراعاة الترتيب الهجائي، وعدم اعتبار الزوائد من أمثال (ابن، وابنة، وأب، وأم، وال). أما المراجع، فرتبت ترتيبًا هجائيًا يراعي الاسم الأول، فالثاني، فالثالث، وهكذا. وقد عدتُ إلى مقالة واحدة في إحدى الدوريات، فأفردتُ ذكرها بعد المراجع .

* الخطيب البغدادي (أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م):

- تاريخ بغداد (مدينة السلام): طبع، ونشر: دار الكتب العلمية- بيروت، د.ت.

* ابن خلكان (شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م):

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: دار صادر- بيروت، د.ت. تحقيق د. إحسان عباس.

* الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م):

- سير أعلام النبلاء: الطبعة الثالثة، مؤسسة الرسالة- بيروت ١٩٨٥م. أشرف على تحقيق الكتاب، وخرّج أحاديثه: شعيب الأرنؤوط.

* السخاوي (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ت ٩٠٢هـ / ١٤٩٧م):

- الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ: الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة (نشرة: فرانز روزنثال) ١٩٨٣م. ترجمة: د. صالح أحمد العلي.

* ابن سعد (محمد بن سعد كاتب الواقدي ت ٢٣٠هـ / ٨٤٤م):

- الطبقات الكبرى: طبع ونشر: دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٩٠م. دراسة، وتحقيق: محمد عبد القادر عطا.

* السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م):

- تاريخ الخلفاء: الطبعة الأولى، دار القلم - بيروت ١٩٨٦م. تحقيق: قاسم الشماعي، ومحمد العثماني.

- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي: الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية- بيروت ١٩٧٩م. حققه، وراجع أصوله: عبدالوهاب عبداللطيف.

* الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م):

- تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك): الطبعة الخامسة، دار المعارف بالقاهرة ١٩٨٧م . تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم .
- المنتخب من كتاب ذيل المذيَّل: الطبعة الثانية، دار المعارف بالقاهرة (نشر ضمن ذيول تاريخ الطبري في جـ١١ من تاريخه) ١٩٨٢م. تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم .

* ابن كثير (أبو الفدا إسماعيل بن كثير الدمشقي ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م):

- البداية والنهاية: نشر مكتبة المعارف - بيروت ١٩٦٦م .

وتوجد طبعة أخرى نشر: دار الريان للتراث ١٩٨٨م. تحقيق: د. أحمد أبوملحم، وآخرين .

* ابن النديم (أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب ت ٣٧٧هـ / ٩٨٧م):

- الفهرست: طبع، ونشر: دار المعرفة - بيروت، د. ت .

* أبو نُعيم (أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني ت ٤٣٠هـ / ١٠٣٨م):

-حلية الأولياء: طبعة: مطبعة السعادة بالقاهرة ١٩٣٢م .

* النووي (أبو زكريا محيي الدين بن شرف ت ٦٧٦هـ / ١٢٧٧م):

- تهذيب الأسماء واللغات: عنيت بنشره، وتصحيحه، والتعليق عليه، ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، د. ت.

* ابن هشام (عبد الملك بن هشام البصري ت ٢١٨هـ / ٨٣٣م):

- السيرة النبوية: الطبعة الثانية، مطبعة مصطفى الحلبي ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م. تحقيق، وضبط، وشرح، وفهرسة: مصطفى السقا، وإبراهيم الإبياري، وعبدالحفيظ شلبي .

* الواقدي (محمد بن عمر بن واقد الواقدي ت ٢٠٧هـ / ٨٢٢م):
- كتاب الردة مع نبذة من فتوح العراق وذكر المثنى بن حارثة الشيباني: الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٠م. تحقيق: د. يحيى الجبوري.
- فتوح الشام: طبع ونشر: دار الجيل - بيروت، د. ت.
- المغازي: الطبعة الثالثة. عالم الكتب - بيروت ١٩٨٤م. تحقيق: مارسدن جونس.

* ياقوت (شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي الحَمَويّ ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م):
-معجم الأدباء: الطبعة الثالثة - دار الفكر - بيروت - ١٩٨٠م.
- معجم البلدان: الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٩٠م. تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي.

* ابن يونس (أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس الصَّدَفيّ ت ٣٤٧هـ / ٩٥٨م):
- تاريخ الغرباء: الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت ٢٠٠٠م. جمع، وتحقيق، ودراسة، وفهرسة: د. عبد الفتاح فتحي عبد الفتاح.

ثانياً: المراجع:

* د. أكرم ضياء العمري: بحوث في تاريخ السنة المشرفة: الطبعة الثالثة، مؤسسة الرسالة في بيروت (ساعدت على نشره: جامعة بغداد) ١٩٧٥م.
* د. شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون: الطبعة الثانية، دار العلم للملايين- بيروت ١٩٧٩م.
* د. عبد العزيز الدوري: بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب: المطبعة الكاثوليكية- بيروت ١٩٦٠م.

* د. عبد الفتاح فتحي عبد الفتاح: معالم الثقافة الإسلامية في القرنين الأولين من الهجرة: الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت ٢٠٠٢م .

* د. فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي: طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧م. نقله إلى العربية: د. محمود فهمي حجازي، ود. فهمي أبو الفضل .

* د. كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي: طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣م. أشرف على ترجمته إلى العربية : د. محمود فهمي حجازي .

* د. محمود الطحان: تيسير مصطلح الحديث: دار التراث العربي ١٩٨١م .

* د. محمود محمد الطناحي: الموجز في مراجع التراجم والبلدان والمصنفات وتعريفات العلوم: الطبعة الأولى، مطبعة المدني. الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٩٨٥م .

* د. يوسف هوروفتس: المغازي الأولى ومؤلفوها: الطبعة الأولى، مطبعة: مصطفى الحلبي ١٩٤٩م . ترجمة: د. حسين نصار .

ثالثًا: الدوريات:

* د. سعد زغلول عبد الحميد: فتح العرب للمغرب بين الحقيقة والأسطورة: دراسة ونقد لمخطوط (فتوح إفريقية) للواقدي. بحث نشر في مجلة كلية الآداب- جامعة الإسكندرية بالمجلد السادس عشر سنة ١٩٦٢م .

***